البدائع

(بقلم)

زكي مبارك

حائز الليسانس فى الآداب

ورئيس لجنة اصلاح الأزهر والمعاهد الدينية

مابال فريق من الناس ، يؤمنون بما خلقت له أيديهم وأرجلهم ، وعيونهم وآذانهم ، ثم يرتابون فيما خلقت له عقولهم ؟ فلا وربك لايؤمنون حتى يعرفوا أن المؤمن عن نعمة العقل مسئول. وما كنت لأعق العقل ، وقد حكمه الله يوم هدانى الى الايمان ، فمن كان يريد أن يرى غضبتى للحق ، وعبادتى للجمال ، فليقرأ هذا الكتاب . ومن كان يريد أن يرى صورة مكررة لمن سلف من الكتاب والشعراء ، فليعلم أن الخمول أحب الى من أن أكون صدى لأحد من القدماء أو المحدثين ، بل ما أهون التضحية فى سبيل الابداع اذا انحصرت فى الخمول !

(المؤلف)

البدائع

(بقلم)

زكي مبارك

حائز الليسانس فى الآداب

ورئيس لجنة اصلاح الأزهر والمعاهد الدينية

مابال فريق من الناس ، يؤمنون بما خلقت له أيديهم وأرجلهم ، وعيونهم وآذانهم ، ثم يرتابون فيما خلقت له عقولهم ؟ فلا وربك لا يؤمنون حتى يعرفوا أن المؤمن عن نعمة العقل مسئول. وما كنت لأعق العقل ، وقد حكمه الله يوم هدانى الى الايمان ، فمن كان يريد أن يرى غضبتى للحق ، وعبادتى للجمال ، فليقرأ هذا الكتاب. ومن كان يريد أن يرى صورة مكررة لمن سلف من الكتاب والشعراء ، فليعلم أن الخمول أحب الى من أن أكون صدى لأحد من القدماء أو المحدثين ، بل ما أهون التضحية فى سبيل الابداع اذا انحصرت فى الخمول !

(المؤلف)

(الطبعة الاولى — حقوق الطبع محفوظة)

حب ابن أبي ربيعة وشعره

الاهداء

الى الوالد الكريم

الشيخ عبد السلام مبارك

مازلت أمرح فى نعمى وعافيـة
من نيلك الجزل أو من رأيك الحسن
وأسهر الليل فى علم وفى أدب
أبغى رضاءك عن قصدى وعن سننى
وأستقل لأجل الفضل ماسمحت
به الليالى لاهل الفضل من محن
حتى بلغت بجدى بعض ماطمحت
اليه نفسى كما يرجوه لى وطنى
فاليوم أهـديك ما أبدعت من أثر
أبقى على الزمن البـاقى من الزمن

ولدكم

اهداء البدائع

الى حضرة النطاسى البارع الدكتور محمد عبد الحى

صديقى العزيز

أهديت لسيدى الوالد أول كتاب أخرجته للناس ، ثم بدا لى ان أهدى هذا الكتاب الى من يشبه حضرة الوالد فى بره ، وعطفه ، وإحسانه ، وهأنذا أهديه إليك ، جزاءً بما قدمت إلى من معروف ، وان جلت أياديك عن الجزاء والسلام ؟

زكى مبارك

ليسانسيه فى الآداب

قسم العلوم الفلسفيه والأدبية

القاهرة فى أول ابريل سنه ١٩٢٣

دمعة

على رئيس الحزب الوطنى

المغفور له محمد بك فريد

سلوا برلين عمن حل فيها يفتت كبده المرض العنيد
مضى يستوهب الايام عمراً تتم به المساعى والجهود
فلم يذهب بعلته طبيب ولم يكتب له عمر جديد
وخر على السرير وحب مصر على تبريح علتـه يزيد
فما ضمن البقاء له صديق ينادى لاعدمتك يافريد

***

فيا لهفى عليك وأنت كهل غريب عن أحبته بعيد
تموت فلا ترى مثواك أم ولا أخت ولا زوج ودود
ولا يروى ثراك أخ شقيق بدمعته ولاطفل وليد

***

فلا يشمت بمنعاك الاعادى ولا يفرح ببلواك الحسود
فتلك بلية لم ينج منها على اشراق عزته الرشيد
ومن يك مثلنا حسبا ومجدا تشجعه الصواعق والرعود

الحيـاة الحرة

يذكرون ان السيد جمال الدين الافغانى رفض مساعدة المصريين له وهم يودعونه الى منفاه . فلما ألحوا عليـه أقنعهم بهـذه الكلمة « أينما توجه الليث وجد فريسته » وقد كان السيد جمال الدين الافغانى يستطيع مكاثرة (قارون) لو كان للمال عنده قيمة . ولـكنه كان رجلا يستقل الموت فى سبيل الشرف . فلم يكن عجبا ان يستقل فى سبيله العدم والاقلال !

واليوم نسجل مانقل عن المستر لويد جورج من الرغبة الشديدة فى الحياة الحرة . لان فى ذلك عبرة لأولى الأبصار . فقد جاهر الرجل الذى دوخ العـالم بضع سنين بانه مضطر الى طلب الرزق . وصرح بأنه فقير ولا عار عليه فى فقره ان عمل لسد حاجته من طريق شريف !

سقط لويد جورج . ثم تأمل فاذا هو خالى الوفاض ثم نظر حواليـه نظرة الليث الجائع فاذا كل ما فى الارض من طعام وشراب . قد لوثه الذباب . ففزع الى قلمه يستصرخه . فامطره شآبيب الرزق الحلال !

اتفقت جريدة النيويورك تيمس والشيكاغو تريبون مع المستر لويد جورج على أن يقدم لهما كتابه « ذكريات الحرب » ليختصا بنشره فى مقابل أربعين الفاً من الجنيهات ياخذها دفعة واحدة حين يسلمهما الـكتاب !

ثم اتفقت معه بعد ذلك جمعية النشر الأمريكية على ان يكتب لها مقالات أسبوعية تنشر فى صحفها التى تزيد على ثلاثين صحيفة فى مقابل سبعة آلاف وخمسمائة من الجنيهات ! ولـكن مراسل النيويورك تيمس والشيكاغو تريبون خاطب هاتين الجريدتين حين علم بهذا الاتفاق وسألهما

أيدخل فى مزايدة ويتفق مع المسترلويد جورج على ٨٥٠٠ أى بزيادة الف جنيه عن المبلغ الذى قبله من جمعية النشر وهل له ان يزيد المبلغ الى تسعة آلاف جنيه ؟ فجاءه الرد بأن يحتج على هذا الاتفاق : لان اشتغال لويد جورج بهذه المقالات يؤخر وضع كتابه . ولأن ظهور هذه المقالات أسبوعياً قد يصرف الناس عن ترقبه . فلما رفع المراسل اليه الاحتجاج كتب من فوره الى الجريدتين خطابا طويلا جاء فيه :

« ما ظننت لحظة أن العقد الذى وقعته يمنعى من نشر المقالات السياسيه . ولو رأيت فيه مادة من هذا القبيل لرفضته فقد عولت بعد أن استقلت على الاشتغال بالكتابة فى الصحف بغض النظر عن كتاب « ذكريات الحرب » ولقد خدمت الحكومة سبعة عشر عاما ثم خرجت وأنا فقير فلم يكن بد من أن أكتسب بقلمى بعد ماوقفت ما سآخذه منكم على الصدقات »

هذا لويد جورج بطل انجلترا يودع رآسة الوزارة ويودع معها الجاه والمال . ليستقبل الحياة الحرة . وليفتح بقلمه ممالك عجزت عن فتحها الجيوش والاساطيل !! وهكذا يشغل العظماء عن أنفسهم حين يتولون المناصب الرفيعة . فاذا تخلوا عنها أصبحوا فقراء كانما يطرقون باب العالم من جديد . أما صغار النفوس فلهم من مصالحهم الشخصية شاغل عن مصالح الجماهير . والمناصب فرصة لهؤلاء يدخرون فيها الدراهم البيض لليالى السود . افتحوا أعينكم أيها الناس وتأملوا كيف عجز لويدجورج وقد ملك المشرقين عن أن يدخر لنفسه « بدرة من الذهب » ينفقها حين يخونه الحظ ، ويسامه التوفيق ! !

لا يخجل لويد جورج ولا يتحرج من أن يقول إنه فقير. لأن الغنى لم يمنع آلاف الناس فى انجلترا من أن يودوا بجدع الانف لو أصبحوا فقراء على أن يكون لهم ما لهذا الفقير من مجد شامخ يعز على من رامه ويطول؛ ولكن بعض الناس فى مصر وفى غير مصر يخفى فقره ويسامى الاغنياء فيكون مثله كمثل الضفدعة التى راقها جسم الثور فأخذت تنتفخ ساها تصبح فى ضخامته حتى بقرها الانتفاخ؛

ولئن حمدنا للمستر لويد جورج وقفته هذه فى وجه الحياة يطلب ما خلق له من السيطرة على الناس بآرائه الادبية والسياسية بعد هيمنته عليهم هيمنة فعلية حين كان رئيساً لاقوى حكومة فى العالم الحديث فانا لنحمد للامة الانجليزية والشعوب الامريكية هذه الشهوة الحادة شهوة الاطلاع التى جعلت رسائل هذا الوزير مما يتنافس فيه المتنافسون حتى لتصبح شغلا لثلاثين جريدة لهن ما لهن من الدوى الشديد فى آذان الملايين من أحرار العقول!

لقد غلا كل شىء فى الغرب حتى المداد. ورخص كل شىء فى الشرق حتى الدماء!! وان قطرات من الحبر يسود بها لويد جورج وجه القرطاس لأعز منا لا من الدم القانى يسفح فى سهول الشرق وإن بكت له الارض والسماء

وبيدكم أيها الشرقيون كشف هذه الغمة. ومحو هذا الظلام. فلو شئتم أعززتم نفوسكم وأغليتم دماءكم، ولن يكلفكم ذلك أن تكونوا نارا تلتهم القابسين والمستصبحين، بل يكفى ان تكونوا نبتة مرة المذاق ينفر منها أولئك الذين إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون اعملوا فى شبابكم بعض ما يعمل لويد جورج فى مشيبه واعلموا أن

الامم لاتحيا بالقيل والقال وكثرة السؤال وانما تحيا بالاعمال العظيمة يقوم بها جبابرة المفكرين من حيث لايبتغون الجزاء

***

المعاهد والعهود

ألفت النوح بعدك والسهودا ... وودعت التصبر والهجودا
وأضمرت الأسى لما تولى ... زمان كان لو دمتم حميدا
وقد رقت دموع العين حتى ... لتحسبها لرقتها خدودا
بليت من الغرام بكم ولكن ... أرى كاف الفؤاد بكم جديدا
وما طمع المعذب أن يراكم ... وقد ضن الخيال بأن يعودا
اذا ماقلت أجلى الوجد عنى ... تذكرت المعاهد والعهودا

مدامع العشاق

كتاب لاعيب فيه غير أنه يمثل لعينيك حياة المحبين ، وما يلقون فى الحب من نعيم او شقاء ، وهو اول كتاب جمع بين دفتيه أجمل ما تحدث به الشعراء عن ثورة الحب وروعة الجمال

وسنشرع فى طبعه ان شاء الله بعد قليل

قبل الطعام والشراب

أين عهد الهمجية ؟

أين عهد الانحطاط ؟

أين عهد الخمول ؟

رحم الله تلك العهود : فقد حدثونا أن الحكومة المصرية ، كانت تأخذ الأطفال قهرا من أيدى آبائهم ، وحجور أمهاتهم ؛ بين البكاء والعويل لتعمر بهم دور العلم التى أنشأتها لرحمة الأمة من بلايا الهمجية ، والانحطاط والخمول ! وقد حدثونا أن الحكومة المصرية كانت تخرج الشبان من ديارهم ، لتبعثهم الى العواصم الأوربية ، بالرغم من التمائم التى كان الآباء يعوذون بها أبناءهم من (التغرب فى بلاد بره !) وقد حدثونا أن الآباء والأمهات كانوا (يقيمون الولائم لأهل الله والأولياء ، ويوزعون الصدقات على المساكين والفقراء ، ويقرءون الفاتحة والصمدية والمعوذتين ثلاثمائة مرة عند الشروق وعند الغروب)

كل ذلك ، ليرحم الله أولادهم من دخول المدارس ، ويقيهم شر السفر إلى لندره أو باريس أو برلين : فما كان الله وهو أرحم الراحمين ينظر إلى زفراتهم المحرقة ، وعبراتهم المغرقة . بل كان يعين الحكومة عليهم فيصبح أبناؤهم بالرغم منهم تلاميذ فى المدارس أو اعضاء فى البعثات العلمية ؟

فيارب وأنت الحكم العدل : إليك نشكو (وجودنا) فى عهد المدنية والرقى ، والنهوض ! لقد كان آباؤنا يساقون الى المدارس سوقا ، فيتعلمون وهم راغمون ، كما يؤجر المؤمن رغما عن أنفه ! وها نحن أولاء نقاسى ألوان

العذاب ، كلما اشتعلت فى صدورنا نيران الشوق الى العلوم والفنون !

يارحمة الله لهذا القلب الحزين ! لقد قضيت بضع سنين وأنا ظامىء أترقب لعل طيف (الزمن الماضى) يطيف بى فجأة فأصبح وقد وجدت من مناهل العلم مايطفىء تلك النار التى تتأجج فى صدرى فلا تجد غير الرجاء من وقود ! وهأنذا أتلفت ذات اليمين وذات الشمال ، فلا أجد غير أنداد فى التعاسة ، وأشباه فى الشقاء !

أيها الآباء والاجداد !

لقد كانت الحكومة فى عهدكم محسنة كريمة : ولكنكم عددتم كرمها بخلا ، وإحسانها إساءة !

وهأنتم أولاء تنظرون كيف انتقم الله للحكومة منكم ، فأغلق فى جوه أبنائكم أبواب المدارس ، وحرمهم من البعثات العلمية والفنية ! فاقرءوا إن شئتم (الفاتحة والصمدية والمعوذتين) على أرواح أولادكم ، التى أماتها الجهل ، وقبرها الخمول ! لقد كنتم تبكون كلما ألزمتكم الحكومة بأرسال الأطفال الى المدارس ! وكنتم تعولون كلما سمعتم أن الحكومة ستبعث فريقا منكم إلى الحواضر الأجنبيـة ! فابكوا الآن حتى تنزفوا دموعكم كلما ضاقت عن أبنائكم المعاهد ، ويئستم من أن يروا ـ ولو فى النوم منابع العلم فى برلين وباريس !

فيارب وأنت الحكم العدل : لقد قضيت أن لا تزر وازرة وزر أخرى ونحن أبناء هذا الجيل لم (نعص أوامر الحكومة ولم نهرب من المدارس ولم نفزع من الأرساليات) فكيف نؤخذ بذنوب آبائنا الذين أنكرنا عليهم ما تورطوا فيه إذ ذاك من كراهة التهذيب ؟

فان لم يكن بد من أن يؤخذ الأبناء . بما جنى الآباء ، فأنى أستطيع أن أثبت أن جدي رحمه الله أدخل أبي المدرسة وهو طائع ؟ وفي مقدور كثير ممن ضاقت في وجوههم سبل العلم أن يبرئوا آباءهم وأجدادهم من (تلك الجناية) التي يحاسب عليها الأبناء والأحفاد ! فهل تتفضل الحكومة فتفسح المجال لهذا الفريق (البرىء) عسانا ننجو من بلية الجهل ، ونكبة الجمود !

نريد أن نتعلم ، لا تكفينا السلامة من العرى ، والظمأ ، والجوع ، لا نشكو ظاهر المرض ، ولكننا نتألم من الداء الدخيل : ارحمونا من الداء العياء : أغيثونا فكلنا ملهوف ! (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم) ونحن أيتام العلوم والآداب ، فايرحمنا القائمون بالعلم في هذه البلاد ، ليرحم الله أبناءهم من بعدهم ، فلا يجدون ما نجد من اللوعة والغليل !!

يرحم الله هذه الأمة : فلقد كانت وكل همها أن تظفر بكفايتها من الطعام والشراب ، فأصبحت وليس لها غير هم واحد ، ولكنه هم مقعد مقيم : وهو أن تجد كفايتها من المدارس الابتدائية والثانوية والعالية . وهي بعد ذلك ترحب بالفاقة ، إن صح هذا الحلم الجميل !

أما البعثات العلمية ... ويلاه ماذا أقول ! اللهم لا تمتني قبل أن أرى بعيني كيف يدرس العلم في الممالك التي أصبح أهلها سادة الامم ، وأساتذة الشعوب

شوك الورد

أنت ورد فهب محبك شوكا أترى الورد عاش من غير شوك ؟

مسجد جديد

نقلت جريدة (توحيدأفكار) عن جريدة (الخليل) الهندية أنه بدىء بانشاء جامع إسلامي فى حي (هايلاند بارك) بمدينة مشيشفان بأمريكا وأن النفقات قدرت بمبلغ ثمانين ألفاً من الجنيهات الانجليزية وتقول (توحيد أفكار) إن هذا المسجد الجامع هو أول مسجد إسلامى فى تلك الربوع التى يوجد فيها نحو مليون من المسلمين !

فهل فى ذلك عبرة لعلماء الدين الذين يرون أن الساعة آتية بعد قليل وأن الاسلام يضعف ضعفاً طبيعياً كما يهرم الجسم ويهيج النبات؟

وهل لمشيخة الأزهر الجليلة أن تبحث فى صحة هذا النبأ لتؤدى واجبها فى مساعدة هؤلاء المسلمين ولو ببعثة علمية توضح لهم أصول الاسلام وتفصل لهم تاريخه الجليل؟

هذا أمل بعيد! وهل درس التاريخ الاسلامي مفصلا فى الازهر نفسه حتى يتطوع علماؤنا لنشره فى أمريكا الجنوبية والشمالية، ولنفرض أن كل شىء فى الازهر جرى وفقا للمصريين ومن يفقه العربيه من الشرقيين أفتظن المشيخة الموقرة أعدت العدة لبث الاسلام أو الدفاع عنه فى غير الممالك العربية؛ وهل فى العلماء من يجيد لغة حية كالفرنسوية أو الانجليزية أو الألمانية؟؟ وهل فيهم من يعرف اللغة الفارسية وهى لغة شرقية تسود فى كثير من الشعوب الأسيوية ويعرفها كثير من سكان القارة الأوربية والامريكية وهى فضلا عن ذلك مصدر من مصادر الأدب العربى فى عهد الدولة العباسية؛ وهل فيهم من اطلع على ما كتبه

علماء الأتراك بلغتهم عن أصول الدين الحنيف ؟ لنترك الغرب وعلومه والشرق وفنونه . ثم لنسأل سادتنا عن المعهد الذى لا يعرفون غيره وهو الأزهر الشريف : ألا يزال محروما من النظافة والنور ؟ ألا تزال مصابيحه قذى في العيون ؟ وكتبه عمى فى القلوب ؟؟

أرى طوفان هذا الغرب يطغى ... واهل الشرق سادته نيام
فأن لم يأتنا نوح بفلك ... على الأسلام والشرق السلام

رفات شاعر

جاء فى أنباء الشرق ، أن حكومة العراق أجابت دعوة الادباء هناك ، وبنت قبة بديعة ، نقل اليها رفات الشاعر الخالد أبى تمام الطائى !

وأبو تمام أجدر الناس بأن يحتفل به بعد الف سنة من وفاته ! ولكنه احتفال بدفنه ، لا بنشره ، وابتهاج بموته ، لا بحياته !

وأذ كان هذا العمل دليلا على مبلغ الوفاء فى أنفس القائمين به ، فقد رأينا أن ندلهم على طريق أهدى ، عساهم يسلكونه لو شرعوا فى تكريم البحترى أو غيره من أساطين الأدب ، وأقطاب البيان . وإن أقوم سبيل فى رأينا للحفاوة بالشاعر بعد وفاته : هى أن تؤلف لجنة من أهل البصر بالشعر والنقد ، فتشرح ديوانه ، ثم تكتب عنه رسالة ممتعة ، فى بيان ماله وما عليه ، وتحديد مابرع فيه غيره ، أو قصر فيه عن سواه ، ثم تذيع ذلك فى جميع الأقطار العربية ، ثم تترجمه ان أمكن الى اللغات الحية ، لينتفع بشعره القريب والبعيد !

فأما المقاصير والقباب فهي فيما نرى جهد ضائع، ولن يكون جمالها إلا أثراً يحج اليه الرسامون والحفارون ، لا الكتاب والشعراء ! !

وقد علقت جريدة الصاعقة على هذا المقال بالكلمة الآتية :

« احتفل الموصليون بنقل رفات أبى تمام حبيب بن أوس الطائى الى القبة البديعة التى شيدتها بلدية الموصل مضجعا لصاحب الحماسة مادح الخليفة المعتصم ، والقائل فى محمد ابن حميد الطوسى :

كذا فليجل الخطب وليفدح الامر ... وليس لعين لم يفض ماؤها عذر

وقد أشار الكاتب زكى مبارك الى نقل رفات الشاعر — فى نبذة نشرها فى صحيفة « الافكار » ثم قال

« ... وان أقوم سبيل فى رأينا للحفاوة بالشاعر بعد وفاته هى أن تؤلف لجنة ألخ)

نقول : والحفاوة بمقابر النوابغ ، وخدام الوطن ، لاتقل أهمية عن العناية بنشر آثارهم . وقلما تجد ذا فضل فى أوروبا الا وله بعد موته جمعية من الانصار والاحباب يعرفون بنسبتهم اليه وفى مقدمة أعمالهم الحج الى مقبرة رجلهم فى أوقات معينة ، والترنم الى جانب رفاته بذكرى مفاخره .

فاذا كان أدباء الموصل قد قاموا بواجبهم نحو رفات أبى تمام فما أجدر أدباء مصر بالقيام بواجبهم نحو شعره وأدبه

عبادة الجمال

الشمس تشرق من ضياك ... والبدر يطلع من سناك
والحسن فى عليائه ... وجلاله مولى صباك
ته واحتكم فيمن تشا ... ء فكل تياه فتاك
وجمال خدك والجبيـ ... ـن وما نقشت على لماك
وعيونك النجل الحسا ... ن وما تلوح به يداك

للوعد منك وإن مطلـ ـت ألذ من جدوى سواك

***

يا من أجلك عن وصا لى فى دنوك أو نواك
وأراك مولاى الرحيـ ـم وإن نأى عنى جداك
تخطو وتخطر بالأصيـ ـل فلا النسيم ولا الأراك
وتميس حينا فى الضحى فتكون فتنة من يراك
جل الذى ولاك تصـ ـريف الخواطر واصطفاك
وحباك تحنان القلو ب الى التفاتك أو خطاك
ياسعد من بسم الزما ن ببيته فغدا أباك
ياليت أنى كنت صنـ ـوك أو قريبك أو أخاك
أو كنت رغما من علا ئى أو علا قومى فتاك
فأرى جمالك فى صبا حك ياحبيب وفى مساك
وأرى سريرك هل يصو نك مثل قلبى لو حواك
قلبى لك المهد الوثيـ ـر فلو حللت به حماك
إما نزلت به نزلـ ـت على البقية من رجاك
إن عزنى دهرى وكا دت لى الليالى فى هواك
زودتها صبر الكريـ ـم وحلمه حتى أراك
وإذا قضى رب الصبا بة أن تصر على جفاك
وقضيت أيامى أسيـ ـراً لم أمتع بالفكاك
ثم انقضى أمد الحيا ة ولم أزود من لقاك
فالروح مرجعها إليـ ـك فهل يظللها رضاك

العمر الضائع (١)

فى الأزهر والمعاهد الدينية

فى يوم الثلاثاء المقبل سيحتفل المصريون بذكرى الشيخ محمد عبده فى الجامعة المصرية !!

وأول ما يمر بالخاطر، هو مكان الاحتفال. فقد نذكر أنهم احتفلوا ابتأبين الشيخ حمزة فتح الله فى المكان الذى كان يلقى فيه دروسه العامة فى درب الجماميز؟ وليست الجامعة المصرية بالمكان الذى كان يلقى فيه الأستاذ الامام دروسه العامة ؛ ولكنه كان يلقى ابحاثه الممتعة فى الأزهر الشريف !!

فياعجبا ! أيضيق الأزهر على الشيخ محمد عبده فى الحياة وبعد الممات ؟..

لافرار من الحق ! إن الذين فكروا فى الاحتفال بذكرى الشيخ محمد عبده هم تلامذته القدماء الذين ضاق بهم الازهر، ووسعتهم الجامعة المصرية ! !

لقد تسكن النفس، ويطمئن القلب، حين نرى بأعيننا حياة هذا الرجل بعد موته ! — أليس هو القائل : وإن فناء فى الحق لهو عين البقاء ؟! صدقت أيها المصلح الجليل ؛ فانظر بعينك الآن من عالم الأبدية، لترى من جديد ان رحمة الله قريب من المحسنين ! — إن للمجاهدين عبرة فى حياتك الأولى والثانية، لقد مت وأنت تتسمع عساك تجد منصفاً يعترف لك بجميل، فهل علمت ان الناس يعلنون عن أنفسهم بالحب لك، والاقتداء بك ؟؟

(١) نشرت فى الافكار فى ٧ يوليه سنة ١٩٢٢

« إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا »

***

فى يوم الثلاثاء المقبل ستتقاطر جموع العلماء الى دار الجامعة المصرية. فلنسمعهم هذه الكلمة عساهم يصلون الى تلك الدار وهم خاشعون ! !

لقد مرت السنون على وفاة الشيخ محمد عبده ، فهل قام فريق منهم فوقف وقفة المستبسل الجرىء ، فذاد عن المعاهد الدينية ، واقتفى أثره فى اصلاح الأزهر ؛ وتعديل برامج التعليم ؟

لقد عطلت الدروس شهوراً عديدة فهل انتفعوا بهذه العطلة فملأوا الخزائن ببدائع المؤلفات وروائع المصنفات ؟ ألم يعد الازهر كالطلل البالى لانهم استبدلوه بالاندية الخصوصية حتى عطلت الجمعة فيه أسابيع كثيرة ؟ ألم يتركوا السذاجة تطغى وتستطيل حتى أعلن بعضهم فى الصحف السيارة انه سأل الشيخ بخيت عن حكم التكلم فى السياسة ؟ ألم تنطق صوامت الموجودات وهم لائذون بالصمت والسكوت ؟؟

لا يقنع الامة أن ترى من بين هؤلاء الجموع خمسة أو عشرة يكتب كل منهم بضع رسائل فى السنة ثم تطوى الصحيفة ويجف المداد ! !

كنا سمعنا أن امرأة صالحة وقفت فى طريق الفخر الرازى فسألها الناس أن تفسح له الطريق فقالت من هذا الذى تحتفون به؟ فقالوا رجل عالم أقام على وحود الله الف دليل ! فقالت ويحكم هل عميتم حتى تطلبوا على وجود الله الف دليل !! — وكذلك يقتل الازهريون وقتهم فى إثبات وجود الله ، تعالى عما يصفون !!

نريد أن يتغير التعليم فى الازهر والمعاهد الدينية ؛ نريد أن نكون أعزة وقد صيرتنا هذه التعاليم أذلاء ، نريد أن نرسم الخطة لنهضة الممالك الاسلامية ، حتى يغلب الجاحدون على أمرهم فيدخلون فى دين الله أفواجا أفواجا من حيث لا يشعرون ! !

نريد أن نمحو الوساوس التي دخلت فى العلوم العربية وأصول الفقه وعلم التوحيد ولا يضيرنا أن يخمل بذهاب هذه الوساوس مئات المتصدرين في العلم والدين ! فهل نحن واجدون من بين العلماء من يسمع هذه الكلمة التي اضطررنا اليها اضطرارا وألجأتنا اليها الغيرة على الدين الذى مات فى تأييده الآباء والاجداد ؟ ؟

الاحسان الى العقول

كتب التاريخ فيما كتب ، أن الأمير عبد العزيز بن مروان كانت له أياد بيضاء على المعوزين فى مصر . ولا زلت أذكر ماطربت له من وصف الاستاذ محمد بك الخضرى لذلك الامير الجليل حينما عرج على ذكراه فى الجامعة المصرية ، ولم يكن عبد العزيز بن مروان واحد الناس فى الكرم والافضال حتى أخصه بالطرب لما عمل ، والاعجاب بما صنع ، ولكن الذى انتشيت له إنما هو وجود باحة سعيدة فى الديار المصرية ، ابتسم فيها الجود للعافين حينا من الدهر ، ومن ذا الذى لا يستروح لذكرى السعادة مرت ببلاده ففلت من غرب الشدائد ، ونالت من جانب الأحداث ؟

أجل ! كان ابن مروان موئلا للنفوس الحيرانة أعواماً معدودات ثم انطوى بره ، حينما انطوت أيامه ! ولم يبق من جوده بقية تفزع اليه

النفوس الهاربة من الفقر ! ! وكذلك لم يبق من ذكراه إلا كلمات قلائل حفظت فى الكتب المنسية ! وذهب ما قيل فيه من جيد الشعر ، وبارع النثر ، وأكثر ما يعرف عنه أنه والد الخليفة العادل عمر بن العزيز :: وكان أولى أن يعرف بجوده الشامل ، قبل أن يعرف بابنه العادل ::

كذلك كان الناس فيما سلف ، يعملون لليوم لا للغد ، ويحسنون الى البطون ، لا الى العقول ! اللهم الا أفرادا كانوا يثيبون على الكتب المؤلفة وربما حبسوا شيئاً من مالهم على المساجد يدرس فيها العلم ، ويذكر فيها ذو الجلال والاكرام !

تلك أيام خلت ! وقد اكتفينا بما لدينا من التكايا والمساجد ووجب أن تتوجه العزائم الى الاعمال التى تخلق الأمم خلقا جديدا وينال صاحبها من كرم الأحدوثة مالا يذهب به كر الغداة ومر العشى ، ولن يتمثل ذلك إلا فى إنشاء المعاهد العلمية ، والعمل على تكوين العقول ، وتهذيب النفوس وأكثر ما يتضح ذلك فى العمل الذى قام به منشئو الجامعة المصرية ، التى أخذت منذ سنوات تبعث العلم من مرقده ، فى هذه البلاد التى كانت نقطة الاتصال بين الشرق الناهض والغرب الهامد ، والتى لولاها ما حفظت علوم العرب التى كانت نواة هذه المدنية الفسيحة الأرجاء ::

ان الجامعة المصرية لم تعد فى حاجة الى الأشادة بذكرها ليلتفت اليها الناس . ولم يكن أبناؤها بالقليلى العدد حتى يقول قائل ما الذى صنعته فى رقية البلاد . ولكن كلمة واحدة تختلج بين شفتى من حين الى حين وأريد أن أقول : هل يذكر كل قادم الى الجامعة المصرية من منتسب أو مستمع أنه ضيف صاحبة السمو الاميرة فاطمة بنت اسماعيل تغمدها الله

رحمته . أو ضيف المرحوم حسن باشا زايد أو أحمد بك شريف ، ومن نحا نحوهم فى الخروج من بعض ماله لتشييد هذا المعهد الذى تفزع اليه العقول ؟ ! وهل يفكر بعض طلبة الجامعة من الذين قدر لهم أن يكونوا أغنياء أو ذوى دالة على الاغنياء أن يكثروا من أصحاب الأيادى البيضاء على هذا المعهد بما يبثونه من تبجيل من سهروا عليه وهو وليد ؟

أما أنا فلا أملك غير الوفاء ، وسأجعل لأولئك الكرام النفوس منزلة من قلبى تعز على من رامها وتطول . وليشهد الله وملائكته والناس أن لكل من مد يده لمساعدة الجامعة المصرية دينا على قضاؤه الشكران أين البيان والأفصاح ؟ أين الشعر الجميل ، والنثر البديع ؟ أين شعر زهير فى هرم بن سنان ؟ أين مدائح البحترى للفتح بن خاقان ؟

اللهم انى أعجز عن أداء ما على من واجب الثناء على أولئك الأمجاد فاكتب لهم عندك مايطربون لمرآه يوم يبعثون

دعوة عاشق

رأيت حياة المرء مابين ساعة — تطيب وأخرى لا تفيق من الهم
فيارب إما رمت لى العز منعما — ففى قرب من أهوى وبعد أخى اللوم
وإن كان لى فيما قضيت مساءة — فحزن على النائين جيرتى القدم
وإن شئت لى يوما جوارك فلأكن — شهيد الهوى لا نضو هم ولا سقم
وطول حسابى فى المعاد على الهوى — فطول أحاديث الصبابة من همى

أرواح الكتاب

عزيزتى فتحيه !

وصل الى خطابك السادس . وكنت جديراً بشكر يمناك الجميله على ماصنعت أناملها الحسان . ولكنى لا أزال أشعر بالوحشة ، كأن لم تكتبى إلى حرفا ، ولم يصلنى منك كتاب ! غير أنى لا أنكر أن قلبى يخفق فى كل صباح ، كلما قرب قدوم البريد ! ولقد صرت أحسب حملة الرسائل شرذمة من الملائكة ، ينقلون السلام من قلب الى قلب ، ويصلون بين النفس والنفس ، حتى لقد هممت أن أسبح بحمدهم فى أوقات التوزيع ! كما يسبح فريق من الناس للشمس عند الشروق !!

أجل ! لا أزال أشكو الهجر والصدود : فاذا كنت تحسبين أن فى هذه الرسائل برءا لقلبى من جواه ، وجسمى من ضناه ، أو اذا كنت تظنين أن فى إرسالها الى إمتاعا لنفسى التى تكلف بالحسن وتولع بالجمال ، أو اذا كنت تأملين أداء ما يفرض الحب على فتاة تعلم أن حياة عاشقها أثر من آثار يديها ، كما كانت حياة الزهر أثرا لما للشمس من ضياء : اذا كنت تنتظرين شيئا من ذلك فأنت واهمة يافتحيه ! نعم واهمة وإن ألم فؤادك الذى يفيض بالاحساس - إن الرسائل التى تكتبينها الى ليست من إملاء قلبك الشفيق ، ولكنها كلمات منقولة من الروايات التى يتراسل فيها المحبون على أن الرسائل التى تكتب فى القصص على هذا النحو لا تمثل أفئدة الأوانس ، لأن كتابها رجال يتمثلون عواطف النساء ! فهم مقلدون وحاكون ! وانه لمن المخجل أن يملأ عالم الأدب بتقليد التقليد ! فأنت

تمثلت عواطف رجل كان تمثل عواطف امرأة ! وجدير بخطاب هو تمثيل لتمثيل أن ينال من قلب القارىء ما ينال الحديث المعاد !

لم أكد أقرأ خطابك الاول حتى بعثت اليك بزجاجة من العطر كتب عليها تاجرها الخاص (احذروا من التقليد) وكنت رجوت أن لا يفوتك النظر فى هذه النصيحة الثمينة ! ولكن خاب الرجاء : وتوالت رسائلك على هذا النمط الذى أشفق على أصحابه أن يموتوا وهم أحياء، وانهم لميتون !

ستقولين عاشق لا يحسن الخطاب ، وإنى لكذلك إذ قلما يظرف الشيوخ ، لولا انك ستعلمين الآن انى لم أطع غير داعى الأخلاص . ألا ترين يا فتحية أنى كثيراً ما أتحين الفرص لأحدثك وأنت غافلة ، وأنظر اليك من حيث لا تشعرين ، طمعاً فى أن أظفر منك بلفتة لم يشنها التصنع وخطرة لم يفسدها التقليد ؟ أتحسبين أنه لو أقبلت على فتاة ملء العين والقلب كان فى مقدور الجمال أن يزحزح هواك من قلبى حتى تحل منه مكانا كان قبلك غير مأهول ؟ وهل ترين أن ذلك لو صح على سبيل الفرض والتقدير ، كنت أقدر على التفوه بكلمة الاخلاص والفناء فى الحبيب واذا كان ما الا أن أفتح ذراعى لفتاة غيرك وهى تقبل على وتصدف عن سواى ، فكيف أطرب من كلمات تقدمها معشوقة الى عاشق ، من حيث لا يصح لفتاك المدله أن يسمع لغير ما يجرى على شفتيك من حديث ؟ أم كيف أعتد بخطاب وضعه رجل على لسان امرأة ، فكان غاية فى المسخ والتشويه ؟

لم يرقنى من تلك الرسائل الا ما فيها من الأغلاط الاملائية لأنها تمثلك وقد حفظت بعض القطع المختارة فبدا لك ان ترسلى شيئا منها الى

محبك المسكين ، ظنا منك أنه يسكن الى الكلام الجزل ، ويخلد الى القول الرصين . وقد فاتك أن تذكرى أنى حفظت فى عهد الحداثة أكثر ما كتب الحريرى . والخوارزمى . والبديع ، ومن اليهم من فحول الأدب وأعلام البيان ، وأنى وإن نسيت أكثر ما حفظت إلا أنى لا أزال أملك من آثارهم ما يغنينى عن النظر فى أكثر المخطوطات الجديدة . التى تقترب فى مبناها من تلك السبائك التى تعز على من رامها وتطول . فما كان أغنانى إذاً عن . . !!

إن هناك فرقا بين عاطفة الحب وبين الحاسة الفنية ، فانا أنعم برسائلك من ناحية غير ناحية الصبابة . ولست أناجيك حين أقرؤها الا أنك لم تصورى بها قلبك وهو يفيض حنانا على محبك الذى يعيش فى أهله كالغريب ! ولولا أنك كتبتها بخطك الذى يسحرنى خلوصه من شوائب التنميق ، وأفضت عليها عبقا من روحك حين الاختيار ، ولولا أنها منك يا فتحيه ، لعددتها من سقط المتاع !! لأنى لا أطرب للآداب والفنون ، إلا من حيث هى وسائل الى القلوب الصوادف ، وقد منحتنى قلبك . والحمد لله والحب ! فما الذى حال بينك وبين إرساله الى فى ثنايا الخطاب ؟ أتذكرين الكلمة البديعة التى وصلتنى منك فى العام السالف ؟ أنا أذكرها لك الآن لتعلمى أنى أعشق الروح قبل أن أعشق ما يصور الروح . تلك هى قولك فى حلو العتاب (والدى واخد على خاطره من سيادتكم) وكذلك فلتعلمى أن اللغة الفصيحة لا تحلو منك الا بعد أن تتذوقى الآداب . وبهذه المناسبة أرجو أن لا تكتبى الى ثانية باللغة الفرنسوية لأنى لم أطمع بعد فى أن أسمع منك ، رجع الحمائم فى أبراج باريس ! وكم تمنيت أن تدرك الفتيات المصريات سر اللغة العربية فيسمع منهن المصريون ما كان يسمعه توبة من ليلى الاخلية ، وما كانت

تدخل به ولادة على فؤاد ابن زيدون

.. عفا الله عنك يافتحية فقد أخطأت من حيث أخطأ الناس . وإنى لأرجو أن لا يكون النهوض فرديا فى مصر على حين أصبح خلقا عاما فى كثير من الامصار والممالك . فان عدت الى التقليد بعد مبعث الأبداع فسيطول اللوم والتأنيب . أما الآن فلك من غفلة الجمهور شفيع والسلام

كيف يحكمون ؟

عزيزتى فتحية

قرأت خطابك البديع . بعد انتظاره أياماً كانت أمر من الصبر وأقسى من الهجر ، ولقد قبلته ، ثم قبلته ، حتى خفت أن تبلى سطوره من زفراتى المحرقة . ولو رأيتنى وأنا أضمه الى رسائلك السالفة ، لرثيت لصبرى المغلوب ، ودمعي المسكوب ، ولكن فى سبيل الحب ماأعانى !!

.. تسألينني عما نشره ابو الهول ؟ وهل كان ذلك أول مالقيت فيك من جارح اللوم ، وقاتل التأنيب ؟ وأنا أسألك لم اقتصرت فى خطابك على التلميح لما كتبته الآنسة زكيه ماهر ؟ ألا يعد هذا إيثاراً للجنس اللطيف على الجنس النشيط ؟ تلك والله سجية الأوانس . لا يعجبن بشىء الا ان كان صادراً عنهن ، أو متعلقا بهن ، ولعلك تذكرين حديث السيدة سكينة بنت الحسين حين دخل عليها الشعراء لتفاضل بينهم من وراء حجاب فصارت تهزأ بهذا وتسخر من ذاك ، ثم طربت لجميل حين قال :

يقولون جاهد ياجميل بغزوة وأى جهاد غيرهن أريد

.. لكل حديث بينهن بشاشة وكل قتيل عندهن شهيد

ولقد أرى من الأدب أن لا أناقش خطاب الآنسة زكية هانم ، فاسمى كلمة عما قاله الكتاب الآخرون !

يقول كاتب من بولاق أن خطابى اليك يحمر له وجه الفضيلة ! ولقد يظهر ان الفضيلة عند هذا الكاتب اضعف من أن تثبت أمام رسائل الحب ، وقصائد النسيب !! وهو راى غريب ، يدل على ميل صاحبه الى ظلم العواطف ، وقتل القلوب !! ولئن كان هذا الكاتب صادقاً فيما يحدث عن نفسه من بغض الحب ومقت الصبابة ، فانا نسأل الله الرحمة مما منى به هذا الذى يعيش بلا فؤاد !

أما كلمة الكاتب (ع صيام) ففيها هنات كنا نود لو سلم منها قلمه البليغ !! ولقد أتعب نفسه فى أثبات انك محبوبة حقيقية لا خيالية . ثم ختم كلمته بقوله (اذا كان كذلك فالسلام عليك ياأبا فتحية) وانى لا أتقبل منه هذه الكنية الجميلة ، وأرجوه أن يتأمل هذا البيت

لا تدعنى الا بياعبدها فأنه أشرف أسمائى

ولا يفوتنى أن أصرح لك بأنى اضطربت عند قوله (ولو كانت فتحية تضمر لك شيئا من الحب الذى تزعمه انت لرايت عواطفها تسبق محفوظاتها الادبية) أليس فى هذا شىء من الحق يافتحية ؟ صدقت ياصيام وصدق معك من نظر لحبيبته وهو يقول .

اما والله لو تجدين وجدى جمحت الى خالعة العذار

وانت يافتحية ؟

هل تعلمين وراء الحب منزلة تدنى اليك فان الحب اقصانى

ولكن ليعلم هذا الكاتب أن الحب نوع من الفناء . ولو كان الحب

كما يظن — نوعاً من الأخذ والأعطاء ، لكن ضربا من ضروب التجارة لا يعرف فيه إيثار ولا إخلاص !!

أما خطاب حضرة الكاتب محمد لطفى حسن ففيه من الرفق ما نود لو تحلت به رسائل الكتاب ، وهو يرى ان تحليل العواطف يغير من أخلاق النساء !! ولست أدرى كيف صغرت قيمة المرأة فى نظر كثير منا ، حتى لا نراها أهلا لأن تتمتع بما فى قلبها من إحساس !! ولقد وافقنى من طرف خفى حين أنشدنى قول ليلى الأخيلية

وذى حاجة قلنا له لا تبح بها ... فليس اليها ما حييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغى أن نخونه ... وأنت لأخرى صاحب وخليل

فان هذا الشعر لا ينكر الحب ، ولكنه يمقت الفجور !! وألفت نظر لطفى افندى الى خطأ التمثيل بقول توبه

وكنت اذا مازرت ليلى تبرقعت ... فقد رابنى منها الغداة سفورها

فان لهذا البيت واقعة غرامية لا يجهلها مثل هذا الاديب ، وجملة القول أن هؤلاء الادباء يريدون منى أن أكتب فى اصلاح المرأة ، وذلك ما أبغيه لولا أنهم يرون إصلاحها فى تهذيبها بالحقائق العلمية ، وأنا أرى اصلاحها فى تزيينها باللطائف الوجدانية !!

أسير على نهج يرى الناس غيره ... لكل امرىء فيما يحاول مذهب

وختام أنشد مولاتى قول جميل

وماذا عسى الواشون أن يتحدثوا ... سوى أن يقولوا إننى لك عاشق
نعم صدق الواشون أنت حبيبة ... الى وان لم تصف منك الخلائق

وفي انفسكم أفلا تبصرون

آية كريمة ، تذهب النفس فيهامذاهب شتى ، ولكننى أريدها لمعنى خاص : هو الحكم على الأقوال والأفعال - وبيان ذلك أننا ننظر غيرنا يقول ، أو يعمل ، فنحكم عليه بالبر أو الفجور ، فتارة نخطىء ، وتارة نصيب وأكثر ما نكون شططا إذا حكمنا على القول أو الفعل ، من غير أن نحيط خبرا بظروف القائل أو الفاعل : وهى وحدها محور الخير والشر والخطأ والصواب ، فليست كل كلمة (يكفر قائلها) كما يقول الفقهاء بمكفرة مالم تشهد القرائن على أن قائلها جاحد عنيد . وليست القصائد الخمريه شهادة على قائلها بالأثم ، ولا قصائد التشبيب رميا لصاحبها بالفسوق ، ولكن الظروف وحدها هى الحكم فى أن الشاعر فاسق أو سكير !

ومتى عودنا أنفسنا البحث عن الحالة النفسيه للقائل قبل البحث عن مدلول ماقال ، واجتهدنا فى تعرف ظروف الفاعل قبل تأمل مافعل من منكر أو خبيث ، فقد ترفع التهمة عن كثير ممن حكم عليهم بالكفر أو المجانة ، لكلمة ظاهرها الكفر ، أو فعل ظاهره المجون ! ونحن أولى الناس باتباع هذه الطريقة ، لأنها أصل من أصول الدين ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون !

قال عليه السلام (إنما الاعمال بالنيات وإنما لكل امرىء مانوى) وليس لمتعنت أن يرد علينا بأن هذا خاص بأعمال الخير لا الشر ، فأنه كما يجوز أن يفسد الخير حين يراد به شر ، يصلح الشر حين يراد به خير ، وتبقى التبعة على من يقصرون فى إرشاد الناس الى نتائج أعمالهم ، فأنى

أعتبر العمل بنتيجته، وما لها من الضر أو النفع، وقد أوضحت ذلك فى كلمة (أصول الأخلاق) التى نشرها أبو الهول

وإذا أباح لك حسن النية أن تحكم على رجل بالصلاح، لغلبة الخير على أقواله وأفعاله، من غير أن تلم إلمامة بالأسباب القريبة والبعيدة لما يعمل وما يقول، وقد تكون نيته سيئة فيحبط عمله، فأن من الواجب أن تنظر بدقة فى ظروف من ساء قوله وعمله، فقد تكون نيته حسنة فيرضى عنه علام الغيوب!

إن علماء النقد فى الغرب لا يحكمون على خلق المؤلف إلا بعد أن يتبينوا العصر الذى عاش فيه، والبيئة التى أحدقت به، فنال منها ونالت منه، لاحتمال أن تسود كتابته فكرة كانت فى عصره حسنة، وهى فى عصرنا سيئة، فنحكم عليه بما هو منه براء

ولنرجع الى الآية التى صدرنا بها هذا المقال (وفى انفسكم أفلا تبصرون) فأني لا أكتم القراء أنى وجدت فى مذكراتي كلمة لو قرأتها لغيرى الآن لأنكرتها عليه، مع أنى أعرف أني كتبتها من قبل وأنا نقى القلب خالص الضمير، وتلك الكلمة تبدو كأنها خطاب مفتوح لأهل الجمال، وهى سذاجة تمثل عهدا من عهود الصبا، خيل إلى فيه أن الحسن ملك للعيون تستمتع به وهى آمنة مطمئنة، لا ينازعها فيه غيور، ولا يحجبها عنه ضنين، وليس فى مقدورى الآن أن اكتب مثل هذه الكلمة لأنى فقدت تلك السذاجة الغريبة. واطلعت من الناس على بلايا ومناكر يألوم من بعدها الكريم، وسأفرض الآن أنى في العهد الأول من عهود الشباب وأن الناس كما كنت أحسبهم منذ سبع سنين أطهاراً بررة، لا يحرفون

الكلم عن مواضعه ، ولا يتقولون الاقاويل

قال كاتب هذه السطور من خطاب له فى ربيع سنة ١٩١٥ مانصه :

« فمالأهل الجمال يضنون علينا بما سوف يشبع الدود منه لثما ، ويأكله التراب أكلا لما ؟

كم صائن عن قبلة خده ساطت الأرض على خده
وحامل ثقل الثرى جيده وكان يشكو الضعف من عقده

أما والله إن أرواحنا لفى حاجة إلى بعض ماتنعم به الوسائد من الخدود ، والمراود من الجفون ، والمساويك من الثغور ، والأمشاط من الشعور ، والغلائل من الأعطاف ، والزينة من الأطراف ، فلم تحرموننا فى رأفتنا بكم ، وحبنا لكم ، مما تكرمون به الجماد ليلا ونهارا ، على أنه لا يعرف ماحف به من حسن ، وأحدق به من جمال ! !

يأهل الملاحة . إن الله ماخلقكم كالأزهار فى القفار ، تزهر وتذبل ، ولا يتمتع أحد بشمها ولثمها ، وانما جعلكم روحا لكل حى ، ونعيما لكل كائن ، فاجعلوا لنا منكم حظا ، ولا أقل من النظر ، فقد خفنا على أرواحنا أن تضيع ببخلكم ، وتموت بصدكم ، وما الله بغافل عما تعملون !

يأهل الجمال ، ان كنتم فطرتم على العزة ، وجبلتم على النخوة ، فهبونا بعض القرب منكم ، والأنس بكم ، ولكم منا ماتشاؤون من ذلة واستكانة ، وخضوع وعبودية ، وقد عذرناكم لعزكم ، فارحمونا لذلنا ، وعشقناكم لحسنكم ، فاعشقونا لحبنا ، فكفى بالحب جمالا وبالعشق زينة ، وان المحب المملول خير من الحبيب الملول : فان أبيتم الا الصد والقطيعة ، والجفاء والاعراض

فأنا نبشركم بأن الحسن حال تحول ، ودولة تدول ، ثم يحكم الله بيننا وبينكم وهو خير الحاكمين !

أوردية الخدين من ترف الصبى ويا ابنة ذى الأقدام بالفرس الورد
صلى واغنمي شكرا فما وردة الربى تدوم على حال ولا وردة الخد

ولقد يعجب قارىء هذا الخطاب حين يرى كاتبا يعتقد أن الجمال ملك للعيون النواظر ، وان البخل به إثم وعقوق ، ولكنه لو أنصف لعرف أن النفس الطاهرة كثيرة الشطط ، وأن صاحبها لا يسلم من الاسراف ورحم الله ذلك العهد الذى كنت أعيش فيه بأمل غير محدود — على أننى لا أمنع أحدا من أن يسيء الظن بما كتبت منذ سنين ، فان الذى يطمع فى معرفة النفس البشرية ، لا يبخل بوضع نفسه على المشرحة ، ليسهل عليه وعلى غيره التحليل ، ومثلى في ذلك مثل الطبيب المخلص لعلمه ، لا يبخل بتضحية نفسه وهو يفحص صرعى السل والتيفوس ، فهل يعقل هؤلاء الذين يطيعون أهواءهم وشهواتهم ، فينسون أنفسهم ، ويساقون اخوانهم بألسنة حداد ؟ ان قليلا من الروية والأناة لكاف لسلامتنا من الزلل والعثار ، حين الحكم على ما يعمل الناس وما يقولون !

وخلاصة القول أننا مسئولون عن النظر فى أنفسنا ، لأن الذى يعجز عن معرفة نفسه ، وما فيها من العجائب والغرائب ، لا أمل له في أن يعرف نفس سواه ، وهو ان فكر فى الحكم على غيره ، فأنما يجوب البيداء فى الليلة الظلماء

ظلام الليل

وجن على الليل حتى حسبته جفاء كريم أو رجاء لئيم

لا تسبوا الدهر!

لقينى أحد أصدقائى فى الأسبوع الفائت وبادرنى بقوله: لقد أغضبت الزمخشرى حين فسرت قوله تعالى وفى أنفسكم أفلا تبصرون! وقد عزمت بحول الله وقوته أن أغضب الزمخشرى مرة ثانية بتأويل قوله عليه السلام: لا تسبوا الدهر فأن الدهر هو الله! فليس معنى هذا الحديث أن الدهر اسم من أسماء الله، كما توهم ذلك كثير من الفقهاء: ولكن معناه أن الدهر الذى تسبونه ـ وهو نظام الكون الذى تحرمون كل شىء حين تخرجون عليه ـ هو عند الله كاسمه واجب التقديس!!

وسب الدهر عادة قديمة: أفرد لها رواة الأدب بابا سموه (شكوى الزمان) وقد تنبه بعض الشعراء إلى هذه الضلالة الفاشية، فرثى لأصحابها بقوله:

كل من لاقيت يشكو دهره   ليت شعرى هذه الدنيا لمن؟

وكأن رسول الله رأى جموع الكسالى الذين يحسبون أنفسهم خلقاء بأن يملكوا ناصية العالم، ثم لا يعملون شيئا، حتى إذا حاقت بهم عواقب كسلهم، بسطوا ألسنتهم فى سب الدهر، وشكوى الزمان، فأراد عليه السلام أن ينهاهم عن هذه الخلة النكراء بقوله: لا تسبوا الدهر فأن الدهر هو الله!

لقد ملأتم الدنيا صراخا وعويلا: فهل أغنى الصراخ والعويل؟ أفسدتم على الناس فطرهم بأذاعة الآراء السقيمة، والمبادىء المهلكة: فمتى تفتحون أعينكم لتروا نظام الكون كما خلقه الله، لا كما صورته لكم شهواتكم، وأهواؤكم!! نحن صرعى خطلكم، وقتلى جهلكم: فلا عفا الله عنكم، ولا عاد زمن كنتم فيه من المكرمين!!

شكوى عليل

عزيزتي فتحيه

لاتطيق يمناى الكتابة إلا بألم شديد ! وذلك لو تعلمين سبب حرمانى من الكتابة إليك منذ حين ! وكم تمنيت كلما أدرت اللفائف على تلك اليد الجريحة ، لوأن يمناك الجميلة هي التى تتولى برفقها ضمد ذلك الجرح البليغ ! ولكن هيهات يافتحية ، ما كل مأمول ينال ! وكم أنشدت كلما أدنى الخيال محياك الجميل .

إن عينى تعودت كحل هند   جمعت كفها مع الرفق لينا

إى والله ! فلو رأيتك الآن لفزعت الى صدرك ، كما يفزع الضحيان لى الظل الظليل ! وما كان هذا الجرح بباق بعد قدومك ، إلا كما يبقى الحزن بعد قدوم الرحيق ! ولقد كنت خليقاً أن أطرب لذكراك كلما ألح على المرض ، فاعتصمت بذكرى أيامنا الخوالى ، ولكننى مافكرت فيك الا امتلأت حقدا على الدهر ، فسقطت صريع جرحين . جرح فى اليد ، وجرح فى الفؤاد ! فيا عجبا كيف صارت ذكراك مثاراً للهم ، وكانت كالواحة فى الوادى الجديب !!

الآن ـ وقد انتصف الليل ، ونامت عن شكواى العيون ـ أتسمع لعل فتحية تطرق الباب ، ثم أتبين أننى أرجو مالا يكون ، وأترقب المستحيل . وها أنذا أعود الى مساهرة الأنين

سبحان من لو شاء سوى بيننا   وأدال منك فقد أطلت عذابى

غضبة الاسد

مصائب أشتات ينان من الحشا ... منال الرياح السافيات من الصخر
وما إن قسا قلبي ولكن همتي ... تعالت فلم تعبأ بغطرسة الدهر
فلا تحسبوا أن الزمان وإن عتا ... سيحملني يوما على مركب وعر
أبى لى احتمال الضيم نفس أبية ... لها ماالهذا الدهر من عنت الجور
فلا حمدت مسعاى آل مبارك ... إذا لم أبت أعداء مصر على جمر

***

لعمر الليالى الدهم وهي شواهد ... ببأسى الذى أودى بماجئن من ذعر
لئن لم يبن طوعا عن النيل غاصب ... نرى لبثه فينا أضر من الكفر
لأستمطرن الشعب سخطاً ونقمة ... على ماجنت يمناه فى مصر من نكر
فيغضب مغوار ويعبس فاتك ... ويفزع موتور إلى سفه الشر
ويمسى رجال النيل أسدا غواضبا ... تخايل فى برد من الفتك والزأر

***

لقد خاب ظن القوم إن كان غرهم ... جنوح البحور الطاغيات الى الجزر
فقد تزفر الآساد وهي روابض ... كما يزفر الماء المحجب فى القدر
ألم يأتهم أن النجوم إذا هوت ... تصير رجوماً لا تنهنه بالزجر

***

أبى الله أن نفنى وفينا بقية ... يعز عليها أن نصفد بالأسر
فكيف يسام الخسف شعب معزز ... له ما لأهل الغرب إن هب من أزر
فكفوا بنى التاميز عن نهب أنفس ... تحاول أن تحيى مع الأنجم الزهر

أصول الاخلاق

اختلف الناس فى (الفكرة) التى ترجع اليها أصول الاخلاق : فمن زاعم أنها فكرة روحية ، ومن قائل إنها فكرة مادية ، فأصحاب الرأى الاول يرون أن الصدق والوفاء والاخلاص والكرم والتسامح والرفق وسائر الفضائل كلها ترجع الى (فكرة واحدة) هى سرور النفس، وراحة الضمير ، من عمل الجميل - وأصحاب الرأى الثانى يؤكدون أن الصدق ليس بفضيلة إلا لما فيه من المنفعة المادية ، والكذب ليس برذيلة الا لما فيه من المضرة الحسيه ، فالفضائل والرذائل عند هؤلاء تقدر بما يعقبهامن الآثار الجميلة ، أو العواقب الوخيمة ! !

وكما اختلفوا فى الباعث اختلفوا فى الجزاء . فمنهم من يزعم أن مثوبة الفضائل كعقوبة الرذائل معنوية ، ومنهم من يرى أنها مادية ، وأذكر أنى قرأت فى بعض تفاسير القرآن تأويلا لنعيم الجنة بأنه لن يكون نعيما حسيا - كما ينص القرآن - بل سيكون نوعا من التكبير والتسبيح والتهليل ! !

فما رأى أمثال هؤلاء العلماء فى القديم والحديث لو أصررنا على أن « لا تفسير ولا تأويل » وأبينا إلا التمسك بنص القرآن الشريف ؟ أيحكمون علينا بالاثم والفسوق ؟ فأن فعلوا ، أفلا نحكم عليهم بالجهل والجمود ؟ انهم لفى ضلال مبين ! !

لقد آن لهذه الاجناس البشرية أن تصحو وتفيق : فلو كانت البواعث الروحية أو الجزاءات الروحية كافية لبقاء الاخلاق ، لكان للقرآن أسلوب

غير هذا الاسلوب ، ولكن الله لم يشأ أن يترك عباده فى عماية وضلال فوصف لهم الجنة وقطوفها الدانية وصفا شائقا لا يدع مجالا للمتأولين والمتخيلين !! وقد جعل الله الجزاء فى الآخرة مثلا للجزاء فى الدنيا ليفهم المتفيهقون !!

أكتب هذا وأنا أقرأ كل يوم فى الآداب القديمة والحديثة شكوى الأدباء من اعزاز الجماهير للمال، واجلالهم لأهله ، فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا !! لقد كان المال زينة الحياة منذ خلق الله الوجود أفيريد هؤلاء الكسالى أن يحولوا سنة الله فلا تقدر الجهود المادية . ولا ينظر الى من يستغلون كنوز الارض بغير الازدراء ؟ كم مضت آلاف السنين والروحيون يذمون المال ، وطلاب المال : فما أبغضه أحد حتى ولا الروحيون أنفسهم ، أفلا يجب أن تكف هذه الألسنة الداعية الى المستحيل ثم يفرغ الناس لشئونهم جميعا قبل أن يستحوذ الغربيون على ما فى العالم من الاموال والثمرات ثم لا يتركوا لنا غير الشعر والخيال !!؟

ذكرى الشيخ محمد عبده

بين يدى الآن جريدة (الماتان) وفيها صورة باستيرو قد كتب بجانبها بالخط العريض ما تعريبه (الماتان يدعو قراءه الى مساعدته على تنظيم حفلة فى باريس للذكرى المئويه التى ستقيمها الحكومة فى ستراسبورج) ويلى ذلك كلمة قيمة عن تاريخ باستيرو العالم الفرنسوى المعروف : !

ففى فرنسا تحتفل الحكومة بذكرى العلماء ، ثم تدعو الجرائد قراءها .

الى العمل لشمول تلك الحفلات ، أما فى مصر فلا تعنى الحكومة بشىء من ذلك ، ولا تفكر الجرائد فى كثير منه أو قليل ، وأمامنا الاحتفال بذكرى الشيخ محمد عبده ، فقد دعا اليه فريق من تلامذته الأوفياء ، وتفضلت الجرائد فنشرت الخبر بلا تعليق ، وهكذا تموت فينا عاطفة إجلال العظمة ، وتبجيل العظماء على أن كبار الرجال لم يعيشوا لانفسهم بل عاشوا لاممهم عيشة طافحة بالشقاء ! ! فبأى قلب نواجه هذا العقوق الدميم ؟ ومتى نرحم أنفسنا من هذا التخاذل المرذول .

فباسم العلم والمروءة نقدم الى من احتفلوا بذكرى الشيخ محمد عبده خالص الشكر ووافر الاجلال (والله لايضيع أجر المحسنين)

مناقشة لغوية

جرى فى بعض الاندية ذكر هذا المثل (الحديث ذو شجون) فرأى بعضهم أن صوابه (الحديث شجون) ودليله أنه رآه كذلك — كعنوان دائم — فى بعض الجرائد فرد عليه أحد الحاضرين قائلا : إنه لو كان مايكتب على جدران الجرائد أو فى صحائفها حجة ودليلا على صحة ذلك المكتوب لما كان العامة مخطئين فى قولهم (الاهرام) بكسر الهمزة لانها ضبطت كذلك على عمارة الاهرام الغراء ! ! فقال قائل انه غلط مقصود : لان تلك الجريدة تساعد الرجعيين من الشيوخ الفانين ! ! ورأى آخر أنه خطأ شائع جاراه صاحب الجريدة وهو المعقول : وهنا نذكر قولهم (خطأ مشهور خير من صواب مهجور) وهى الكلمة التى لجأ اليها المرحوم

الشيخ محمد عبده حين سئل عن صحة قوله (راحت السكرة وجاءت الفكرة) بفتح الفاء ! !

وبهذه المناسبة اذكر انى لقيت فى طريقى مرة العلامة احمد باشا زكى فقال لى اين تقصد ؟ قلت الى مكان بينى وبينه خطوات ـ بضم الخاء ـ فقال لو قلت خطوات بفتح الخاء لكنت ادنى الى الرشاد ! فقلت انها بضم الخاء فى قوله تعالى (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) فقال لا أنكر ولكنى أرى ان خطوة بفتح الخاء لها نظائر فى الوزن مثل : ندوة ونزوة وقسوة وشهوة ونبوة وربوة الخ. فلوانك قلت خطوة لكنت قريبامن الصواب ، وهى أن لم تكن لغة فهى لغيه ، وثمانون فى المائة ينطقونها بالفتح فما بالك تنطقها بالضم فينسلخ عنك ثلاثة أرباع الناس :

وهذا حل مقبول : لاننا حين نفعل ذلك نجارى شائعا له أصل معروف ! ولكن الذى لامسوغ له أن تؤازر الخطأ المحض لشيوعه وذيوعه . وقد يكون شيوعا نسبيا فى مدينة أو قطر ، ونحن نريد أن تكون الاقطار الاسلامية لغة واحدة : هى اللغة العربية ، وقد يذيع فى مصر مالا يذيع فى الجرائد فلو أننا اتبعنا ما ذاع هنا واتبعوا هم ما شاع هناك ، لعادت الفروع وهي أصول ، ولاصبحت اللغة العربية الاصلية كاللغة اللاتينيه فى الممالك الاوروبية خاصة لاعامة ويصبح القرآن غريبا عند المسلمين كأناشيد (بنتاؤر) عند الاقباط أو سؤال الملكين عند من يرى أنه سيكون بالسريانيه !! ونصبح بعد حين فى حاجة الى من يترجم لنا كتب الجاحظ وابن سينا والغزالى الى اللغه الاهليه كما تترجم كتب (ديكارت) من اللاتينية الى الفرنسية ! ! وقد كان شىء من ذلك فى الاقطار الاسلاميه

ففى مقدمة ابن خلدون أمثلة من الفنون الشعرية المولدة كالزجل والمواليه وما اليهما من الكلام الموزون الخارج على أصول اللغة والاعراب ، ونحن نجد صعوبة ومشقة فى فهم تلك الآداب البلديه بالرغم مما ذكر ابن خلدون من أنها كانت مثلا فى الفصاحة والبلاغة !

وابن خلدون يرى أن البلاغة لاتتوقف على الاعراب ، وهذا صحيح بالنسبة للعامة ، لان الاعراب عندهم أبرد من النحو فى الحساب! ولكن الخاصة لايتذوقون الكلام الملحون ولا يطربون لمعناه ، والبيان عندهم هو جمال اللفظ والمعنى ، ولاجمال للفظ بغير سلامته مما يعد عيبا فى رأى علماء النحو والصرف !

ولولا أن الحديث ذو شجون لما شغلنا عن تحديد هذا المثل (الحديث ذو شجون) وقد رأى القارىء انه لامعنى لان نقول (الحديث شجون) استناداً على (تسجيله) فى بعض الجرائد !! والشجون هنا جمع شجن بفتح فسكون وهو الشعبة والطريقة فمعنى (الحديث ذو شجون) ذو شعب وذو طرائق وليست جمع شجن محركا بمعنى الحزن كما يظن كثير من الناس!!

فيه قولان !

ألح بعض الادعياء على أبيه أن يدعي العلم !! وزوده بهذه النصيحة! اذا سئلت عن شىء لم تعرف وجه القول فيه فليكن جوابك (فيه قولان) فسمع الوالد نصيحة ولده البار ! وكان الناس قديما قلما يعنون بغير المسائل الفقهية والنحوية ! فسأله سائل عن طهارة الكلب ! فأجاب فيه قولان فقالوا صدق لانها موضع خلاف بين الشافعية والمالكية !! وسأله آخر

أيرفع الخبر أو ينصب بعدما فأجاب فيه قولان ! فقالوا صدق لان فيها خلافا بين الحجازيين والتميميين !

وكان فى المجلس رجل ماكر ظريف لحظ أن هذا الرجل جاهل وأنه ينفذ خطة رسمت له . فسأله : أفى الله شك ؟ فأجاب المسكين فيه قولان ؟

فجاء ابنه - رضى الله عنه - وقال صدق فى جوابه فان فيها قولين فى الاعراب ! ولكن هيهات أن تغنى المغالطة بعد أن ضحك الناس من عمامة أبيه ! وهكذا تجرى الحال فى مصر . فكل مشكلة لها وجهان . وكل أمر فيه قولان . ولا يعلم الا الله متى يعرف المصريون كيف تحدد نقط الخلاف .

بعثة البنات

انفرجت مسافة الخلاف فى هذه الاسابيع بين أنصار وزارة المعارف وأنصار طلعت بك حرب الذى يرى العدول عن ارسال البنات الى اوروبا لاتمام الدراسة . ولقد جاء فى احد الردود المتبادلة كلمة حقة هذا نصها (وحتى لو أن كل من أرسلتهن المعارف الى أوروبا عدن كما ذهبن مصونات الاخلاق سليمات الاعتقاد فليس هذا سببا للمجازفة بغيرهن) وهى كلمة تذكرنا بقول كليله ودمنه (أن من وطىء الحية فلم تلدغه فليس خليقا أن يطأها مرة ثانية وإلا عرض نفسه للهلاك) !

والذى نعرفه ان القائلين بالحرية المطلقة المرأة لا يؤمنون فى أنفسهم بأصول الآداب والاخلاق نخير لمناضليهم أن لا يجعلوا الفضيلة والدين أساس الحكم فى هذا الموضوع :

غريب اللغة

إجتهد الكتاب أخيرا فى تنقية الكتابة من غريب اللغة ، وهى سيئة عدوها حسنة لان النزول الى الكلمات المألوفة سيصل بنا قريبا الى وضع اللغة فى نطاق ضيق وفقا لافهام كثير من الناس ! ! ومن المعروف أن غرابة الكلمات ترجع الى قلة تداولها وانتشارها فى المؤلفات والاحاديث فمتى هجرت الكلمة لوجود ماهو أقرب منها الى أذهان القارئين والسامعين فانها تصير بعد حين غريبة لايعرفها الا القليل. ثم تصبح القواميس أشبه شىء بالمتاحف الأثرية لايرجع اليها غير عشاق العاديات من علماء اللغات ! !

ولعل أحسن وسيلة لتقريب الجماهير من الكلمات الغريبة هى أن لاينفر منها الكاتب حين تعرض له ، بل يجمل بها كلامه ، ثم يضع لها تفسيرا فى هامش الصحيفة ليقف القارىء على مدلولها المراد ، فاذا جرى هذا باطراد فى صحيفة يوميه أو أسبوعية فان قراءها يألفون كثيرا من الكلمات الغريبة فى زمن قليل !

ومما يلفت النظر ان جريدة الاهرام حين نشرت قصيدة حافظ فى ذكرى الشيخ محمد عبده كتبت فى الهامش تفسيراً لكلمة رتيب من قوله فى وصف القبر :

مضجع لا يشتكى صاحبه ... شدة الدهر ولاشد الخطوب
لا ولا يسئمه ذاك الذى ... يسئم الاحياء من عيش رتيب

أيدرى القارىء كيف فسرت كلمة رتيب ؟ انها قالت مانصه (رتيب

على وتيرة واحدة . مونوتون) ومونوتون هذه كلمة فرنسوية !! فهل رأى الناس أو سمعوا أن الكلمات العربية تفسر بذكر مقابلها فى الفرنسوية . ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة ان هذا الا اختلاق !

واذا كان من الادباء من لا يستكثر ذكر المقابلات الدخيلة أو الاجنبية فما الذى يضيرنا اذا فسرنا كل كلمة نظنها غريبة أو قليلة الذيوع لتزيد ثروتنا اللغويه بقليل من العناية وان الصدر ليضيق حين نجد من الصحف من يقول (صورة رمزية كاريكاتيريه وهى رطانة ثقيلة لا تسيغها الآذان) ! !

أين امرؤ القيس والعذارى　　اذا مال من تحتها الغبيط
استنبط العرب فى البوادى　　بعدك واستعرب النبيط

ومما يؤسف له أن كثيرا من الناس لا يجدون سبيلا الى افهام القراء انهم يعرفون لغة أجنبية غير حشو كتاباتهم بالالفاظ الفرنسوية أو الانجليزية! وفاتهم أن أشرف سبيل الى ذلك هو تعريب الكتب القيمة ، و نقل الآراء الطيبة ، ليدل الناقل أو المعرب على أنه يستفيد مما يطلع عليه من آثار الفرنجة ـ وشر ما نعرف فى هذا الباب أن من الناس من لم يدرك غير الحروف العربيه ولكنه مع ذلك يغرب فى حشو كتابته بالالفاظ الاجنبيه كأنها سر من أسرار البيان ! !

الى ...

ولما نسيتم ودنا وغرامنا　　ولم تحفظوا بعد الفراق لنا عهداً
جعلنا نغض الطرف عنكم وعندنا　　من الشوق نار لا نطيق لها وقدا

ملك يرصد الكواكب

تحت هـذا العنوان نظم أحد شعراء فرنسا قصيدة بديعة تتلخص فى أن ملكا عظيما شغف برصد الكواكب ،فكان يقضى ليله فى مشاهدة السماء ، ومطالعة مافيها من نجم طالع ، أو كوكب ساطع ، فبينما هو غارق ذات ليلة فى تأملاته الحلوة ، وهو يجوب ببصره أقطار السماء ، اذ أزعجه أحد رعاياه بقوله :

مولاى الملك ،أن الله لم يولك أمر هذه الامة لترصد مافى السماء من نجوم وكواكب ، بل ولاك لترصد مافى الارض من مريض أشقاه المرض . وفقير أضناه العوز : وجاهل أضله الجهل ! فول وجهك شطر الارض مرة واحدة لتنظر مافيها من بؤس وشقاء : وهم وعناء . وانى لواثق بأن فى الهموم المنشورة على بساط الغبراء .شغلا لك عن النجوم المبثوثة فى أديم الزرقاء !

ما الذى يهمك من تأمل النجوم . ولست مسئولا عما يطلع منها وما يغيب . أن لها نظاما لا تعرفه . وسراً أنت عنه محجوب . فمالك لا تشغل بالارض ، ومنها خلقت ، واليها تعود ؟؟

***

قرأت تلك القصيدة التي لخصتها للقراء . وذكرت أهل العلم فى مصر لأنهم يشبهون ذلك الملك من جميع الوجوه . وبيان ذلك أن جميع العلماء الذين نثق بعلمهم من كل خبير بوجوه الحياة . وقفوا علمهم على وصل السلسلة التاريخية للعلوم والفنون : فترى الرجل يقضى عمره فى بحث مسألة

قد تكون بعيدة عن حاضر النفع لقومه ووطنه . ولكنها تروقه لسبب واحد هو وصلها بين القديم والحديث . ويخيل اليه أنه يقضى مهمة وطنية لانه يجعل لوطنه ذكرا فى تاريخ المباحث العامية . وان كانت هذه المباحث ظنونا فى ظنون !!

ومن الناس من يؤلف كتابا لا يقرؤه الاثنان أو ثلاثة . ثم يبلى فى المكاتب لعدم الحاجة اليه . فاذا سألته لم اخترت لكتابك هذا الموضوع الغريب . أجابك بأنه انما فعل ذلك أداء لحق التاريخ ونحن نجل هذا النوع من الحرص . ولكننا ننكر أن يقبل أذكياء مصر على الأبحاث الكمالية ثم يتركوا الامة تتخبط فى دياجير الجهالة وبيداء الضلال !!

فى مقدور هؤلاء النوابغ أن يؤدوا واجبهم نحو العلم وتاريخه . ثم ينظروا مع ذلك الى ما تقاسى طوائف الامة من عنت الأمراض الاجتماعية فيصفوا لها ما يعرفون من ناجع الدواء ثم يحاربوا بأنفسهم جيش البلادة والخمول . لتقوى المدارك وتسلم الاذواق . فاذا فعلوا ذلك عرف الناس انهم يعملون لبعث ماضيهم . واصلاح حاضرهم . والا كانوا كذلك الذى ترك الناس نهبا للبؤس والشقاء . ثم قلب وجهه فى السماء ليرصد الكواكب !

الجرائد المصرية

وكما رزئت الامة فى أقطاب التأليف . فلا تقرأ لهم غالبا غير (تحقيقات وتدقيقات) سخرت من تكرارها القرون . فجعت كذلك فى كتاب الصحافة وهم قادتها فى هذا الحين ! فان كنت فى ريب من ذلك فانظر أى جريدة وتأمل ما يسطره قلم التحرير أو قلم التعريب . فلن تجد غير الاخبار

السياسية . والرسائل السياسية . والخلافات السياسية الخ الخ ! وتلك بلية عظيمة لاتحتملها أمة تحاول النهوض . فانه يستحيل أن تنهض أمة لاتجد ما تقرأ غير الشئون السياسية

وسبب هذه النكبة أن القائمين على الجرائد المصرية قوم غلبت عليهم مذاهبهم السياسية . ولا يطالعون من الجرائد غير ما تغلب عليه السياسة ولا يطيب لهم السمر الا أن سادت فيه السياسة ولا يهزون وهم نائمون فى غير السياسة !! ورحم الله الشيخ محمد عبده حين قال (قاتل الله السياسة ومادة ساس ويسوس)

ولقد يكفى أن يكون فى الجريدة مقالتان واحدة عن السياسة المحلية وأخرى عن السياسة الخارجية . ثم ينصرف المحررون والمترجمون الى امتاع القارىء بما جد فى عالم الأدب والتاريخ والاقتصاد . وما الى ذلك من الابحاث الشيقة الممتعة التى تثقف العقول وتخلق الرجال !

ألم يمر بك أيها القارىء ذلك الخبر الذى نشرته الجرائد المحليه بلا تعليق ؟ ألم تسمع أن فتى فى شارع الدواوين أضرم النار فى فتاة فصيرها هباء تذروه الرياح . لانه حاول ان يسلبها شرفها وعفافها فأبت . وفضلت النار على العار فى سطرين اثنين كتب هذا الخبر فى الجرائد المصرية : أتدرى لم ضاقت هذه الصحف المشئومة عن الاستفادة من هذا الحادث ، والافاضة بسببه فى الآداب والاخلاق ؟ ؟ لان كتابها هداهم الله كانوا مشغولين بذكر الاسباب القريبة والبعيدة لمصرع وياسون فى لندره وراتنوا فى برلين !

أنها لاعجوبة القرن العشرين أن نغفل عما يجرى على مرأى منا من غريب الحوادث ، لنفرغ لتحقيق مالا يعنينا من أخبار العالمين !

أين المصلحون؟

قضى الأمر . وتبينا أن الغواة فى هذا البلد قويو الارادة ، صادقو العزيمة ، يفون لأنفسهم بالعهد إن عاهدوها على الشر ، ولجيوبهم بالوعد إن وعدوها سلب مافى أيدى الناس !! وهذا ظاهر فى كل ماوصلت اليه أعمال العادين على الامن . فلبس من سبيل الى انكار البراعة التى ظهرت فى طائفة من هذه الأمة المسكينة ، تلك الطائفة التى تسمى حينا بالنهابين وحينا بالسفاحين !!

وانا اذا أسفنا لشيء فسيكون أسفنا أشد كلما رأينا أن ضعف الارادة ، وخور العزيمة ، وفتور الهمة ، انما هى من صفات طلاب الاصلاح فى مصر ، فاذا أتم السارق مااعتزم المضى فيه ، ووصل السفاك الى ازهاق مايشاء من الأرواح فانك ترى الاخفاق لاحقا بمن يعزم على تأسيس ملجأ ، أو تاسيس مدرسة ، أو تأليف كتاب ، أو قتل رذيلة ، أو غرس فضيلة !!!

لقد كان من الهين أن نحتمل وجود خونة ولصوص وفتاكين ، لو أن الدنيا بجانب ذلك زعماء فى الاصلاح ، وعلماء فى الأخلاق ، وبناة المجد ، ودعاة الى الرشد ، ولكن كفة الرذيلة أرجح من كفة الفضيلة ، وطالب الشر أسرع من خاطب الخير ، وداعى الهدى أعجز من داعى الضلال

هذا هم نقاسى احتماله ، ونشهد بأنفسنا مصرع الاخلاق ، ونرى ظهور النحل الدنسة التى ترمى الى انحلال العزائم ، وانهزام النفوس ، وانحدار العقول ، ولا يعلم الا الله مآل هذه الأمة التى بدأت تتهاون فى الشرف الذى لاتحيا أمة الابه ، والدين الذى كان السبب فى كل مالها من كيان

ولولا اننا نكتب فى الاخلاق وقد ينافيها التعرض ولو قليلا للشخصيات — لكشفنا الغطاء عن الافراد والجماعات التى لاتعد الثبات على المبدأ الا بقية من بقايا الجهالة ، وترى الفضل كل الفضل فى أن يكون المرء كالحرباء ، يتلون بلون المكان الذى يحل فيه ، فهو تارة نقى الوجه ، وأخرى مسود الجبين ! !

الى بعض الناس

لقد صددنا كما صددتم — فهل ندمتم كما ندمنا
وشفنا الوجد مذجفوتم — فأظهر الدمع ما كتمنا
وهبت روحى وقلت عطفا — فما عطفتم وما رجعنا
ملكتموها وما وصلتم — لقد غنمتم وما غنمنا
ما ازددت خوفا على فؤادى — إلا وزدتم صفاً وأمنا
وما رجائى وقد قويتم — على جفائي وزدت وهنا
قتلت نفسى على جفاكم — وما قرعتم على سنا
لهفى على السالف المفدى — لو كان يجدى الفدا لجدنا
فما ذكرنا الذى تقضى — الا على حسنه انتحبنا

***

لو كنت أشكو الهوى لصخر — لحن وجداً وأن حزناً
وذاب من هول ماأراه — فقد برانا الهوى وذبنا
إن كان ذنب فسامحونا — ويشهد الله ما أسأنا

اشراك العقول

لاتجد كتابا من الكتب الازهرية قد خلا من الحكم على الشعر: أحرام هو أم حلال. وهذا خلاف قديم رويت فيه هذه النكتة الطريفة: وهى أن سعيد بن المسيب سمع رجلا يذكر أن إنشاد الشعر ينقض الوضوء فأنشد من فوره:

أنبئت أن فتاة جئت أخطبها عرقوبها مثل شهر الصوم فى الطول

ثم أقام الصلاة! ويذكر الرواة أن سعيد بن المسيب هذا نقل اليه أن قوما يكرهون الشعر. فقال: لقد تنسكوا تنسكا أعجميا! ويقرب من هذا ما قاله رجل من علماء الدولة العباسيه وقد سمع أن الامام مالكا يحرم الغناء فقال: أما والله لو قال مالك ذلك ويدى تناله لاحسنت أدبه: إن رسول الله ما كان يحرم أو يحلل إلا بوحى من الله! ولا يزال هذا الخلاف موجوداً فى الممالك العربيه: ففى جريدة العراق التى تصدر فى بغداد مقالة نشرت فى الشهر الفائت ترد بها على بعض الصحف العراقيه التى أنكرت على جريدة العراق (ذكرها خبر قدوم المغنية المصرية الشهيرة السيدة منيرة المهدية) ومنذ شهور نشرت جريدة الاهرام كلمة لاحدى السيدات (الشريفات) تستنكر فيها أن تكتب السيدات الممثلات (السيدة فلانه!) وتستبعد أن يصبح التمثيل حرفة لواحدة من نساء الاشراف. وكذلك ظل الشعر والغناء ثم التمثيل موضع خلاف.

وقد اضطر الغزالى الى مدافعة هذه الأذواق السقيمه بقوله (إن لله سراً فى مناسبة النغمات الموزونة للارواح حتى إنها لتؤثر فيها تأثيرا

عجيبا فمن الاصوات ما يفرح ومنها ما يحزن ، ومنها ما ينوم ، ومنها مايضحك ، ومنها مايستخرج من الاعضاء حركات على وزنها) ولعل أمثال هذه الكلمات الصريحة كانت من الاسباب التى حملت الجهلة على رمى الغزالى بالكفر ! ويغلب على الظن أن تورط هذا الامام فى مذاهب الصوفيه الغريبه كان شبه كفارة لما جناه فى شبابه من التفكير المعقول !!

الشعر والغناء والتمثيل — ولا تنس التصوير الذى حرموه — كل أولئك مما يجب على كل مفكر أن يبعد موارده الشهية ، ليوصف بالوقار والجلال ! فيا ويحكم ماذا أنتم صانعون لو شهدتم المعركة القائمة بين الهدى والضلال ! انكم لو رأيتم كيف تتصاول العقول ، لسبق اليكم الجنون — إن لم تكونوا مجانين ! ولكنه لا لوم عليكم : وانما اللوم على الجبناء الذين جعلوا رأى الجهالة مما تنصب له الموازين ! !

اكتشاف مؤامرة

بعد جهد جهيد أكتشفت الآنسة منيره المؤامرة التى دبرت فى ظلام القلوب لاغتيال حياتها الادبية ، وقد عرفت بعد البحث والتنقيب أنى زعيم هذه المؤامرة !

عفواً يامولاتى فاننى برىء ! كل شىء يهون الا حياتك الغالية ! ولعل سبب هذه التهمة هو ماجاء فى تضاعيف تلك الكلمة التى لوحت بها اليك كما يلوح بالاصابع ، للقمر الطالع ، فقد ظهرت بمظهر الاستاذ الضليع الذى يسمو الى تعليم أمثال الآنسة منيره ، فى حين أنى لا أصلح كما تقولين الا لطلبة البكالوريا وطلبة الحقوق

على أنى بالرغم من براءتى من التآمر على النيل من مقامك الجليل ، وسلامتى من الحقد الذى رميتنى به زورا وبهتانا ، وإيمانى بأن لك نصيبا من الذكاء ، فانى لاأزال أعتقد بانك فى حاجة الى دروس فى ماهية البلاغة وروح البيان ! !

أتصرحى بانك لم تدرسى البلاغة دراسة كافية ؟ وماالذى يمنع اذا كنت جاهلة بالبلاغة أن اتفضل فأعطيك درسين أوثلاثة عن متانة التركيب ، ورشاقة الأسلوب ؟ وأننى لأصرح بأننى غفرت لك ما ند من قلمك الناشىء الجميل ، وسأغفر كذلك مايجترح بعد اليوم من نفور وجموح ! !

فبعض الظالمين وإن تناهى   شهى الظلم مغفور الذنوب

باسم الآباء يرزقون

كنا نسأل الرجل ما اسمك فيقول ابن فلان أو خالى فلان ! وكنا كثيراً مانسكت عن هؤلاء ، لأنا نظنهم أغنياء اذ كانوا من أبناء الاغنياء أو أبناء أخوات الاغنياء ! ! ومتى كان المال نسبا عند بعض الناس فقد يكفى أن ينتسب أحدهم لغنى لأن المال موروث ! !

ولكن الذى لا نفهمه فى هذا الجيل ان يسأل الرجل عن اسمه فيقول ابن فلان العالم الجليل أو الكاتب البليغ أو الشاعر المجيد . وكل امرىء يعرف ان الآباء يتركون لأبنائهم مالهم ان أخطأه التبديد ! فأما العلم والأدب والفلسفة فمما لا ينال بالميراث . ولا يمكن أن يحترم جاهل أوغبى لأن أباه عالم أو فصيح

فهل لأبناء العلماء والكتاب والشعراء أن يمحوا قليلا من خيلائهم ثم يقبلوا على العلم والأدب ان شاءوا أن نوليهم بعض ما أولينا آباءهم من التبجيل ؟

كتاب الجرائد الادبية

كنا نحسب السادة (المتأدبين) كتاب الجرائد الأدبية قوما يحبون الصدق ويبغضون الاختلاق ! ! لأن العهود التي قطعوها على أنفسهم يوم افتتحوا جرائدهم (بالبسملة والحمدلة) كانت تؤذن بأنهم أنصار الحق وأعداء الضلال ! !

ولكن فريقا من هؤلاء الكاتبين يستبيحون لأنفسهم الكذب والافتراء، فاذا سألتهم من شرع لكم هذه الشريعة الباطلة : شريعة الكيد للناس باسم الدين والأخلاق . ابتسموا ابتسامة صفراء ، وقالوا انما نفعل ذلك ليتنبه الناس الى ما نكتب فتنبه جرائدنا وتذيع ! !

ألاجل أن يعيش عشرة من الكسالى الذين ضاقت عليهم الدنيا بما رحبت لأنهم لم يسلكوا سبيل الحياة ، يؤذى الابرياء فى أنفسهم وأموالهم ، وتعق الفضيلة ، وتروج الأراجيف ؟ ؟ كلا . لن ينال هؤلاء شيئا مما يشتهون . فقد سامت الأذواق ، وأصبح الناس أحرار العقول لا يقرءون جريدة الا إن غلبت عليها النزاهة والاخلاص .

الشباب العابث

ضاق الفضاء على من عبث الصبا ... ورحمت فضلى من هواه العائث
فأغث فديتك يا مشيب كرامتى ... إنى سئمت من الشباب العابث

جرائد الحزب الوطنى

الى حضرة الاستاذ محمد الهياوى

صديقى العزيز

قرأت كلمتك فى استقبال « اللواء المصرى » وما انطوت عليه من الأمل فى انتصار الحق ، واندحار الباطل ، فذكرت تلك الايام السوداء حين كان الأمل قليلا فى شفاء الأمة مما ألم بها من عبث الجهل ، وكيد الضلال يوم كانت هذه الصحيفة البيضاء لا تصل الى العاصمة حتى ينقض عليها شياطين الأنس يتخطفونها من الباعة ليحرقوها فى أماكن طالما احترمها الناس على حساب الاستقلال !! يوم وقف بعض تجار الوطنية يذكر ماتضمنته جريدة الامة من النقد الساحق لمشروع اللورد ملنر ثم ختم كلامه بتمزيق هذه الصحيفة المحبوبة عقاباً لها على انتقاد المشروع !!

يوم كان رجال الحزب الوطنى يخطبون فلا ينصت لهم سامع ، ويكتبون فلا يأبه لهم قارىء !! يوم عميت الابصار إلا عن رؤية القبيح ! وصمت الآذان إلا عن سماع الخبيث ! يوم كانت سيئات « المعتدلين » حسنات باهرة ، تنظم فى مدحها القصائد ، وتحبر الرسائل ، وما عهد المشروع ببعيد !!

والآن وقد بطش الحق بالباطل ، وانتقم الهدى من الضلال ، وسلط الله بعض الظالمين على بعض ، وأفاقت الأمة من غفلة التغرير ، وأفاقت من شرك التضليل ، وتميز الخبيث من الطيب ، وهلك من هلك عن بينه وحيى من حيى عن بينة : الآن لم يبق إلا أن تقولوا فيرفع الحق رأسه وتزل قدم الباطل ، فيسقط الى الحضيض ، ثم يرضى الله والملائكة والناس !

وبعد : فان الناس رجلان : رجل يتبع الحق ولو قل أنصاره ، ورجل يتبع الأكثرية ولو اجتمعت على ضلالة . وها نحن أولاء نرى الأغلبية مع الحق المشرق الجبين ، فثابروا على جهادكم أيها المخلصون لتقر عين أنصاركم من قبل ، وليهدى الله بكم أولئك الذين ما عرفوكم إلا بعد أن أصبح الباطل وهو صريع !!

انما ينافق الضعفاء

تنصحنى ياهـذا بأن أجامل ، وأن أصانع ، بل تريد أن أنافق ، ويحك ، إنما ينافق الضعفاء ! !

ان الله لم يخلقنى لأكون ألعوبة ، أدارى هذا وأحابى ذاك ، أنا خير منكم جميعاً ، بل سيدكم جميعا ، فانظروا ماتصنعون !

أنا فى نعمـة من الله ، لاأبالى بعدها أين يكون سخطكم ، وأين يكون رضاكم ، وإن الله لأكرم من ان يضطرنى إلى مصانعة جماعة من الكسالى لاقيمة لهم فى هذا الوجود ! ! لاتنصحونى وانصحوا أنفسكم ، حدثونا ماخطركم فى هـذه الحياة العاملة ، التى نطق فيها الحجر ، وأنتم بفضل جهلكم صامتون ؟ ؟

ان فضيلة الوفاء هي التى تضطر مثلى الى ان يجامل بعض الناس ، وسأعرف كيف اهجر الناس جميعا حين لايرضيهم غير النفاق !

هذا هو فصل الخطاب : ألستم تريدون أن أنافق كما تنافقون ؟ كلا ، لن يكون ذلك : إنكم تنافقون لتعيشوا ، أما أنا فحى بالرغم منكم ، لأن الله لايريد أن أموت ، وسوف تعلمون

الأزهر الشريف

نريد أن نعرف لم يحرم طلبة الازهر من دراسة الآداب العربية ، ونريد أن نعرف متى تدول دولة المؤلفات السقيمة التى وضعها قوم أقل عيوبهم أنهم لا يفقهون لغة القرآن المجيد ، ونود لو تفضل القائمون بادارة المعاهد الدينية فدلونا على الغرض الذى رموا اليه حين ألقوا بالطلاب فى بيداء من الخلط والتعقيد ، لنطمئن كما اطمأنوا ، ولنترحم مثلهم على المؤلفين الاغبياء الذين أفسدوا ما للطلبة من قلوب وعقول !!

لا تنتظر أيها القارىء من كاتب مثلى أن يحدثك عن جهود العلماء فى نشر الآداب العربيـة فى ذلك البيت العتيق ، فانى لا أريد أن أفجعك فى آمالك وأحلامك ، ولا أريد أن تعلم ما أعلم من أمر أوائك الذين يحسبون أنهم حارسو لغة القرآن وهم يفعلون بها مالا يفعل الاعداء !! وما ظنك بقوم يخطئهم العد من حماة الشهادة العالمية تمضى السنون والقرون وما تظهر لهم رسالة فى اللغة أو مؤلف فى البيان !!

وحسبك أن تعرف أن الاحاطة بالأدب أو الفهم فيه ، مما يغض هناك من أقدار الرجال ، فان كنت فى ريب من ذلك فأت بشاهد واحد يدل على أن الخبرة بالآداب العربية كانت مرشحاً للدخول فى هيئة كبار العلماء ! !

وهل سمعت يوما أن طالباً أخطأه النجاح لانه لم يعرف منازل الخطباء فى الدولة الاموية ، أو مراتب الشعراء فى الدولة العباسية ، وهل تحدث

العلماء فى ناديهم بأن فلانا غير كفء لدراسة التفسير أو الحديث ، لانه لم يفقه ذوق العرب الذين تلقوا كلام الله وكلام الرسول ؟ وهل كتب واحد من المفتشين فى الأزهر والمعاهد الدينية كلمة واحدة فيها ملاحظة وجيهة عن دروس المطالعة والانشاء ؟ وهل يجرؤ مدرس واحد ممن يدرسون للطلبة كتاب العقد الفريد ، فيدعي ولو كذبا أنه خبير بما فيه من مظان الخطأ والصواب ؟ وهل نجد من بين الذين تصدوا لبيان ما فى كتاب الله من الحرام والحلال من درس الشرائع الوضعية والسماوية لذلك العهد حتى يدرك حكمة التشريع ، وهذا أول واجب على من يدرس قصيدة قيلت فى غرض خاص ، فضلا عن كتاب أخرج الناس من الظلمات الى النور ؟ وهل تألفت فى الازهر جمعية أدبية كما تألفت فيه الجماعات للطرق الصوفية من جميع الاشكال والالوان : أليس فى كل أولئك دليل على أن الادب لا نصير له فى ذلك المعهد الذى تحتشد فيه الآلاف المؤلفة من الشباب والكهول أو ليس فى بعض ماذكرت مايجعل تنبيه هؤلاء الغافلين فرضاً على من يغار على لغة القرآن والحديث ؟

اتقوا الله في الجنس اللطيف

نشر ابو الهول كلمة لفتاة مصرية عنوانها — لاتهدموا زعيمننا ياأفراد الجنس الخشن — ولست أدرى لم يصر الاوانس على تسمية الرجال بالجنس الخشن مع أن الأليق تسميتهم بالجنس النشيط ! وقد رأينا كيف قامت القيامة حين وصفهن بعض الرجال بالجنس الناعم ! ويقول بعض المؤولين ان فى اصرارهن على وصفنا بالخشونة دليلا على الطمع فى

أن يوصفن دائما بالنعومة! ! كما أن فى هروبهن من وصفنا بالنشاط برهانا على نفرتهن من ان يذكر الناس مافى طباعهن من الكسل والخمود ! !

وبيت القصيد فى رسالة تلك الآنسة التى نبغت فى كفر الشيخ هو شعورها وشعور أترابها بأن عرش زعيمتهن مهدد بالسقوط . وانه لمن الواجب أن نلفت أنظار هؤلاء الفتيات الى أن توقع الهزيمة شر على صاحبه من نكاية العدو الغالب بالعدو المغلوب ؛ فالى افراد الجنس اللطيف من كاتبات وشاعرات وقارئات وخائفات أقدم العزاء ! !

بقى النظر فى مستقبل هذه الجهود النسائية . وعندى ان الافضل لامثال الآنسة منيره من كل مهذبة تغار على هذا الوطن الحزين هو التفكير فى خلاص المرأة المصرية من قيود الجهل والمهانة ، فان نجحن فى ذلك فانى أبشرهن (بالغلبة) فى البرلمان بعد عمر طويل ! !

الجنون فنون !

جاء فى الصحف الفرنسوية أن رجال الشرطة فى باريس لا يكاد يمر عليهم يوم دون أن يقبضوا على رجل أو أكثر بتهمة واحدة ! هى تلويث ثياب السيدات بالحبر ! وقد اعترف المقبوض عليهم بهذه التهمة ، ولكنهم اختلفوا فى السبب الذى اقترفوها من أجله . فبعضهم قال انه فعل ذلك بدافع خفى لم يفهم منه غير الشعور بلذة غريبة حين يرى أثواب السيدات قذرة ملوثة ، وقال آخرون . انهم فعلوا ذلك انتقاما من المرأة التى تخطر فى الدمقس والحرير والناس يتضورون جوعا ويموتون من المسغبة

وعندى أن السبب الأخير مصنوع، لأن النساء لم ينفردن بالترف والزينة ، ولأن الحقد على الرجل المترف، أولى من الحقد على المرأة المترفة ولو كان هؤلاء صادقين فى دعواهم الانتقام من النساء المتبرجات لكان لهم مضطرب واسع فى الانتقام من الرجال المتأنقين !

والسبب الصحيح هو بغض الرجل لحرية المرأة ، وتلك ظاهرة طبيعية، نكون مكابرين إن جحدنا وجودها فى الطباع ! وهذا هو السر فى ترك الرجل امرأته الجميلة ، وهتكه لحرمة امرأة قد تكون دون زوجه جمالا وصباحة ؛ وضياع الشرف قيد فى الرجل ، وغل فى العنق . تصبح المرأة بعده من سقط المتاع ! والمرأة الساقطة أكثر ما تكون هوانا فى عين من أغراها بالسقوط ! فاذا عفت المرأة ، وصانت نفسها عن الغواية ، ذل الرجل وصغر ، وأطال فيها قصائد التشبيب ! فهل يفهم النساء ؟

بين الهدى والضلال

قرأت فى جريدة (الليبرتيه) فقرة تحت عنوان (الشعراء الفاسقون) ولو أردنا الدقة فى التعريب لقلنا (الشعراء الغاوون) ولكن كلمة الغاوى أخذت فى العرف معنى غير معناها القديم وعنوان تلك الفقرة هو عنوان كتاب فرنسوى جميل جمع بين دفتيه قصائد مختارة بديعة لشعراء فرنسا الاقدمين الذين وصفوا المرأة وتغنوا بطرفها الساحر ، وخدها الأسيل ، وقد بين الكاتب أن هذه القصائد القديمة تبهره أكثر مما يبهره وصف المرأة فى الشعر الحديث ! وقد تساءل عن السبب فى هذا السحر الذى انفرد به

الاقدمون ، وحرم منه المحدثون ، مع وجود الوحدة فى اللغة والموضوع ثم أجاب عن ذلك بان المحدثين لم يرزقوا صفاء السريرة ، وان رزقوا قوة الذكاء

فهل يسمع أنصار الأدب الجديد : أولئك الذين يريدون أن يكون الشاعر عبداً للوزن والقافيه ، فلا يثبت كلمة ، الا حذف كلمة ، ولا يعرض عن الحقيقة ، إلا أقبل على الخيال ، فاذا انتهى من المشاكل اللفظيه والمعنوية ، ذهب يتسمع أقوال الكتاب ، ويتلقط آراء الشعراء ، ليكون شعره غاية الغايات فى إقناع العقول ، وإمتاع القلوب

فان أراد القارىء مثالا من الشعر المطبوع والمصنوع ، فليقرأ هذا البيت

ما أنصفتك جفونى وهى دامية ولا وفا لك قلبى وهو يحترق

ثم ليقرأ هذين البيتين :

أحبك حبا لو يفض يسيره على الناس ، مات الناس من شدة الحب
وأعلم انى بعد ذاك مقصر لانك فى أعلى المنازل من قلبى

أفلا يرى القارىء أن البيت الأول أروع وأمتع ، ثم ألا يشعر وهو يقرأ البيتين الآخرين أن قائلهما أضعف من أن يملك النفس ، ويخلب الفؤاد ؟

وهناك شاهد آخر للصنعة والطبع فى الاعمال : فانا نرى العامة يتهافتون على (الكسوة الشريفة) وهى خارجة من مشهد الحسين ، فنهابهم ونبجلهم لأنهم يعملون ذلك عن عقيدة ووجدان ، ثم نرى الوزراء فى مكان آخر يتمسحون بأهداب تلك الكسوة فنحتقرهم ونزدريهم لاننا نعرف أنهم يراءون الناس ! وكذلك تختلف قيمة العمل الواحد باختلاف مصدره وهو الاخلاص أو الرياء ! فمن لنا بكتاب وشعراء يستمدون وحيهم من قلوبهم ، ولا يضيرنا أن تسبق المجانة اليهم ، فان الاخلاص خير كله ، حتى فى الخلاعة والمجون !

في سبيل الحب !

الحمد لله قد ظفرت ببقايا تلك الرسائل ! هـذه قطعة من الخطاب الذى بعثت به اليها فى ذلك الصباح الجميل . يوم أهدتنى رواية أنديانه ، عفا الله عنها كيف محت منه الامضاء؟ لعلها خشيت أن يعرف أحد من أهلها مصدر الخطاب . فيكون ماتقذى له العين . ويشجى به الفؤاد ! !

الحمد لله ! أجل . الحمـد لله الذى لايحمد على الضر سواه ! وأى ضر أبلغ من أن أرى كتبى اليها غرضا للاحراق والتمزيق؟ وأكثر من ذلك ويلاه ! ماذا أقول ؟ لابد من الصراحة !!

لقـد ظهر عرضاً فى يد الخادم خطاب كتبت عليـه لوازم المنزل فى يوم ١٥ أغسطس من (السنة السوداء) ولـكن لاأنسى أن إمضائى محى منه عمداً حتى لايعرض على الناس !! فبأى لسان أشكر ذلك الصنع الجميل !! يجب أن أفرح ! هذه مجموعة نفيسة من الرسائل الغرامية ! وقد لا يصعب على أن أرتق مابها من الفتوق ! ولا مانع من أن يبقى هذا الخطاب مزخرفا بذلك النقش البديع ، فقد كتبت فى بعض جوانبه مسألة حسابية ، ياويلها يوم يقوم الحساب !

مجموعة نفيسة ولـكن ماأخطر النكبة . وما أقل العزاء ! لو أن هذه الـكتب ظلت مصونة ، لكانت رمزا لسعادة من كتبها وأمانة من كتبت إليه . أما الآن فقد أصبحت دلالة على شقاء من كتبها ، وخيانة من كتبت اليـه !! رويدك أيها الدمع ! رويدك فقد قرحت أجفانى ، وما تحرك قلبها القاسى ! ولـكن .. فى سبيل الحب ماألاقى ! وما هو الحب ؟ إنه مرض من الامراض ، سمى بهذا الاسم . لولا أنه كالنقرس ، لايبتلى به الا الملوك .

مومس تستبق الخيرات

قرأت كلمة لمراسل احدى الصحف اليومية يذكر فيها أن مومسا ببندر دمنهور طلبت من وزارة الأوقاف التصريح لها ببناء مسجد سيدى ضحوة الخرب ، على نفقتها الخاصة . ولما كانت موارد رزق هذه المرأة (معروفة) فقد رفض الطلب بادئ ذى بدء. لولا أنها جددته وقدمت إعلاما شرعيا يفيد حيازتها بالميراث الشرعى أملاكا ثابتة ومنقولة ، فوافق المفتى على طلبها وشرعت فى البناء ، قال المراسل . وزادت تلك المومس على ذلك أن أوقفت جميع أملاكها على بناء وترميم وتصليح كل مسجد خرب فى دمنهور والمساجد الخربة فيها كثيرة !؟

ثم علق على هذا النبأ بقوله : كان لاتيان هذه المومس عملا خيرياً كهذا صيحة دهش وعجب فى نفوس الجميع . فكنت ترى فى الاندية والفنادق وفى مشارب القهوات جموع الحاضرين يتساءلون ألا يوجد فى المدينة غير المومس ؟ فكان المنظر مؤثرا جداً يبعث على الحزن العميق وينم على مبلغ تأصل الحقد فى النفوس ، ويؤجج فى القلوب نارا لا يخمد لها لهيب . فياللعار ويا للفضيحة . ويالشقائك يادمنهور ؟

هكذا يتحدث الناس حين تقوم امرأة فاجرة أو رجل فاسق بعمل جليل ، ولعل أكثرهم ثرثرة فى مثل هذه الشئون هو أعداهم للبر وأبعدهم من المعروف ! ! إنكم لا تستنكرون أن يخبث الطيب ، كما تستنكرون أن يطيب الخبيث . ولكن الله فى رحمته لم يشأ أن يترك العالم لأحكامكم الجائرة ، وعدوانكم الفظيع ، فقال وهو أصدق القائلين (إن الحسنات يذهبن السيئات) وقال (قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف) فما لكم كيف تحكمون .

نساؤنا ونساؤهم

يظهر ابو الهول وهو حافل بالموضوعات النسائية فيخيل الى قارئه أن النساء فى مصر يسابقن الرجال فى ميدان الحياة . ولقد ظننت حين حمى الوطيس بين الجنس اللطيف والجنس النشيط أن نهضة المرأة لم تعد أمنية جميلة بل أصبحت حقيقة واقعة . ولا أكتم القراء أنى كنت أخشى أن أصطدم بهذه القوة الجديدة التى تمثلها تمام التمثيل الآنسة منيره والآنسة إنصاف لولا أنى سألت صاحب هذه الجريدة عن اللواتى يكتبن فيها من الجنس اللطيف فأنبأنى — مع الاسف — أن اللواتى يكتبن آحاد أو عشرات !!! وهنا أخذت أتأمل عبث هذه الفتاة المشاغبة التى ملأت الدنيا نواحا على حرمان المرأة المصرية من عضوية البرلمان . إن قليلا من التبصر يا آنسة منيره كاف لرجعك عن هذه الآراء الجامحة ! وإن نظرة الى فتك الجهل بالبنات والامهات كفيلة بأن تخلق منك معلمة ماهرة تقضى على هذا الجهل فى بضع سنين ! ولكنك أشبهت راصد الكواكب الذى شغل عما فى الارض بما فى السماء فضاع ملكه وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم .

لك أن تسابقى الرجال ، ولكن ألا يجب أولا أن تنهضى بالنساء ؟ فان كنت فى شك من تأخر المرأة المصرية فى هذا العصر الذى تكلم فيه الجماد فاسمعى ما يقول الفرنسيون عن نسائهم لتعلمى أن أول واجب على أمثالك هو مسابقة المرأة الأجنبية فى ميدان العلوم والفنون . فأما الكيد للرجل ، والحقد عليه ، والزراية به ، فهى ضروب من الجنون !!

قالت احدى الجرائد الفرنسوية «كان آخر نجاح للمرأة الفرنسوية هو قبولها فى سكرتارية جمعية محاضرات المحامين ، وهذا النجاح من أجل وجوه الفوز الذى تفخر به السيدات المحاميات فى دار الحقانية وقد بلغ عدد هؤلاء المحاميات الفرنسويات اليوم ثمانين سيدة يقمن بمهمة الدفاع أمام المحاكم فى فرنسا ويوشك نجاح المرأة الفرنسوية من هذه الوجهة أن يفوق نجاح المرأة الانجليزية التى ينتظر أن تفتح أمامها أيضاً أبواب دار الحقانية . وكان عدد النساء اللائى تقدمن الى امتحان مدرسة الطب أخيراً تزيد على ثلث المجموع : وهو مايعدنا بتخرج عدد عظيم من السيدات الطبيبات

وهكذا يعم العلم نساء الطبقات الديموقراطية بعد أن كان مقصوراً على اميرات الطبقة الأرستوقراطية . ولا يحصى عدد النساء المستنيرات اليوم . وليس بين السيدات المتعلمات فى فرنسا من ليست حائزة دكتوراة فى الطب أو غيره من أنواع العلوم»

لايدهشك ذلك يا آنسة منيرة فتلك بلاد يبغض أهلها الفضول ، ولا يتعلم أبناؤهم وبناتهم غير النافع المفيد . ولقد بلغ الجد بالاوانس فى فرنسا أن حلت الفتاة محل الفتى فى الوظائف الكتابية الصغيرة وتبدل الاعلان المعروف من «مطلوب كاتب صغير لمحل تجارى أو مكتب محام» الى (تطلب فتاة تكتب على الآلة الكاتبة الخ)

وتقول تلك الجريدة (وهناك فى مكاتب المهندسين أيضا ترى بعض الآنسات يرسمن تصميمات لمبان كبيرة) فبكل أدب واجلال أطالب الآنسة منيره بأن تتناسى آمالها البرلمانية . ثم تقبل بنشاطها على تكوين هيئة

من اترابها المهذبات ، ثم تعمل هذه الهيئة لنشر المعارف الضرورية بين السيدات والاوانس حتى اذا نهلت المرأة من موارد العلم ، وأحست بظهور أثرها فى الحياة المصرية فكرت حينئذ فى أن تسابق الرجال الى مقاعد البرلمان ، فهل تتقبل مولاتى هذا الاقتراح من كاتب يرجو أن تسمو المرأة بخواصها الذاتية لا بالتكبير والتهليل ؟؟

مرض النوم !

ذكرت جريدة الجورنال الفرنسية أن فتاة أصيبت بهذا المرض فى إحدى القرى الانجليزية وأنها لبثت نائمة ستة أسابيع ثم استيقظت فجأه وظلت فى يقظتها ١٣ ساعة ثم استأنفت النوم وأنها لاتزال منذ سنة على هذه الحال !

والذى نلاحظه أن المسمى واحد ، والاسماء كثيرة ، وكان خيراً لو وصف بمرض النوم كل من يقضى (ستة أسابيع) لايقول فيها كلمة طيبة ، ولا يؤيد فكرة صالحة ، ولا يحارب بدعة سيئة : فليس لليقظة قيمة إلا بقدر مافيها من صالح الاعمال !

وليس الذين يفتحون أعينهم وآذانهم ليروا مالا تحل لهم رؤيته ويسمعوا مالا يجوز لهم سماعه ، بأهل يقظة ، ولكنهم غارقون فى بحار الغفلة ، وهائمون فى بيداء الضلالة : تحسبهم أيقاظا وهم رقود !

ومن يدرينا ! لعل تلك الفتاة تنتفع بساعاتها المعدودة أكثر مما ينتفع بعض الناس بعمره الطويل وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون !

حديث الحب

— ١ —

كتبت الآنسة الاديبة حياة فهمى كلمة عنوانها (لعن الله الحب) وقد أنحت فيها على الحب والمحبين . قالت فى أثنائها عن نفسها :

« لست ممن تغلب الحب على قلوبهم » ثم قالت : « الحب عدو لدود للانسان . فيجب أن يبعد عن القلوب . ويجب أن تعيش القلوب فى جو غير جو الحب »

(. . . . تباعدوا عن الحب)

وقد رأيت أن أجيبها عن كلمتها تلك بهذه الكلمة الصغيرة : قلت :

تلوم حياة على العاشقين رويداً ورفقا بنا ياحياتى
جهلت الغرام فلمت المحب هنيئا لعينيك فى الناعسات

أليس كذلك أيها الاستاذ زكى مبارك ؟ ؟ اليك يساق الحديث والسلام

(السكريه) (شاعر)

— ٢ —

فى مصر شاعر كبير، وافر الادب ، كثير الحياء، يحدثك وكأنه يستفيد منك ، فيملى عليك ما يبهرك من آياته البينات، وما زلت اذكر كلمة صديقى الاستاذ الشيخ سليمان نوار وقد حادث هذا الشاعر الجليل منذ ثمان سنين ، اذ قال لى بعد هذه المحادثة : انك لا تدرى أتعده من الشعراء ، أم تعده من علماء الادب ، فتذكرت اذ ذاك قول القدماء فى الاصمعي : انه

اعلم الشعراء ، وأشعر العلماء . ولهـذا الشاعر طابع خاص فى النسيب ، يكاد يتمثل فى قوله .

أحس فى القلب وقدا ... يارب لا كان حبا

وقد اخترت هذا البيت لقربه من كلمته فى حوار الآنسة حياة فهي :

تلوم حياة على العاشقين ... رويدا ورفقا بنا ياحياتى

جهلت الغرام فامت المحب ... هنيئا لعينيك فى الناعسات

ولهذا الشاعر المقيم (بالسكريه) فضـل الاشادة بكاتب هـذه السطور ، فقد دعانى الى حساب الانسة حياة ، وهو يعلم كيف عجزت عن حساب الآنسة منيره ، وانى بهذا العجز لمختال نخور ! !

يرى سيدى الشاعر أن الآنسة حياة جهلت الحب فلامت المحبين ، ولو قال غير ذلك لأصاب شاكلة الصواب ، لان المرأة كالسياسى سواء بسواء يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم ، والله أعلم بما يكتمون ، فاذا قال السياسى (لا) فاعلم أنه يريد (نعم) واذا قال (نعم) فاعلم أنه يريد (لا) واذا قالت المرأة (لا أحب) فاعلم أنها (تحب) واذا زعمت انها (كارهة) فاعلم انها (راضيـة) فان كنت فى ريب من ذلك ياصديقى الاديب فانى أذكرك بقولك من قصيدة نشرتها لك فى جريدة الافكار سنة ١٩١٩

عهد السياسة كاذب ... لله درك ياسجاح

وقد قال (تاسو) الشاعر الايطالى المعروف : ان المرأة تفر ، وتود ان تلحق وهى فارة ، وتأبى وتود فى أبائها أن تسرق ، وتناضل ، وترغب ان يظفر بها فى النضال ! فقول الآنسة حياة « لست ممن تغاب الحب على قلوبهم » معناه ان الحب صيرها باكية العين ، دامية الفؤاد ! ! وقولها

(الحب عدو لدود للانسان ، فيجب ان يبعد عن القلوب) معناه : الحب مادة الحياة ، فيجب أن تزود به القلوب ! وقولها : تباعدوا عن الحب معناه : أقبلوا على الحب بسمعكم ، وبصركم ، وقلبكم ، أيها الشباب !

هذا ياصديقى ماتريده الآنسة حياة فهمى . فهى حين تقول « لعن الله الحب » انما تريد « حيا الله الحب » !

ولا يفوتنى قبل ختام هذه الكلمة أن أوجه للآنسة حياة هذا السؤال : انك تأمريننا بأن لانحب (سمعاً وطاعة !) ولو انى سمعت هذه النصيحة قبل خمسة عشر عاما لنجوت من الحب ، ولاسترحت الآن من تسطير مدامع العشاق ولكنى يامولاتى لسوء الحظ قد أحببت ، وقد ضربت بمحبتى الامثال ، واريد أن اسلم من الحب على يدك الطاهرة ، جعل الله فى يمناك الشفاء ، من كل داء ، فهل لك أن تصفى لى طريق الخلاص من هذا الضلال القديم ، ومن أسماء الحب الضلال ؟؟

أنا فى انتظار الجواب !

ملحوظه — أرجو أن تحترس الآنسة حياة ، وهى تكتب انواع العقاقير من أن تنهانى عن التطلع الى العيون ، والخدود ، والثغور والنحور والنهود ، فانه لاسبيل الى مثل هذا المتاب !! وانما أريد أن اسلو وأنا أعبث بأفنان الجمال ، كما يرد الشارب الكأس وهى تتوهج بين أنامل الساقى الجميل ! !

— ٣ —

رغب الأديب الكبير النابه والكاتب الفنان اللبق الاستاذ زكى مبارك فى كلمته الى الكاتبة الاديبة الآنسة « حياة » أن تصف له دواء

للسلوى عن الحب . فقد اعتزم الأبلال منه فيما يقول . بعد أن مست فيه العيون . وتوزعت لبه الغيد. بيد أنه اشترط عليها فيما استوصفها اياه من الوصفات والعقاقير . الا تحميه بواعث الشوق ولا تحجر عليه أسباب الهوى ودواعى الشجن. فقال « أرجو أن تحترس الآنسة حياة وهى تكب أنواع العقاقير من أن تنهانى عن التطلع الى العيون . والخدود . والثغور والنحور . والنهود . فانه لا سبيل الى مثل هذا المتاب . وانما أريد أن أسلو وأنا أعبث بافنان الجمال . كما يرد الشارب الكأس . وهي تتوهج بين أنامل الساقى الجميل »

فكان كمن يتقى الداء . بالداء . ويستكف النار بالحلفاء . وأكبر الظن ان تلك الوصفات وهذه العقاقير لا تصاب فى « صيدلية » آنسة خفرة حيية مثل الآنسة حياة !

من أجل ذلك نتشهى على صديقنا النبيل أن يتقبل منا أن نستطب لدائه عنها . ونصف له الدواء نحن لاهى . أجل انه لعزيز علينا أن يرمى ذلك الجفن الغضيض بالاطراق . ويندى ذلك الجبين الوضاح بالخفر ويضرج ذلك الخد بالحياء ، فليأذن لى فى أن أنشده قولى :

تناهب لبك سود العيون   وقسمت فى كل نهد ونحر
دواؤك عند مراض اللحاظ   ولا يبطل السحر الا بسحر

ذلك دواؤك الذى يطيب لك ويقر بعينك تناوله . ولا ندعو لك الله بالشفاء . من ذلك الداء. وإن أبيت الا جفوة للحب . وعربدة على من تحب فطالما سمعناك تنشد مثل قول الشاعر :

أعز الله أنصار العيون   وخلد ملك هاتيك الجفون

وان هى أفسدت عقلى ودينى ودام لها على ضعفى اقتدار

وبعد فهنيئا لك تلك السلوى . وندعو الله لصاحبتك سالبة لبك . بل ندعو عليك لا لك بمثل ماقاته أنا لشبيهتها آنفا من كلمة :

لاشفى الله منك جفنا مريضا وشفى من جراح جفنيك مرضى

آمين آمين . والسلام عليك حسن القاياتى

اطلاق المدافع ؟؟!!

اختلف كثير من الناس فى فهم ماذاع من عزم الوزارة المصرية على اطلاق مئة مدفع ومدفع يوم توافق انجلترا على الاستقلال ! ! قال قائل منهم : لقد فطنت الحكومة الى أن الفطرة السليمة تأبى على المصريين تصديق مايزعم المعتدلون من نيل الحرية من طريق المفاوضة والاتفاق فهى تطلق المدافع (فى وجه العدو) ولو فى الهواء :: وهنا لا يشك الناس فى مشروعية الاستقلال :: وقال آخر : ان الحكومة لا تجهل أن هذا لايقنع المعارضين ، ولا يهدى الضالين ، ولكنها تريد أن تطلق المدافع فى الهواء مجاراة لقول العامة (هف طلع النهار) وكان ما كان (ياسادة يا كرام :: ! وروى عن بعض المعارضين أنه قال لقد كانت الحكومة فيما مضى تدافع عن سياستها بالبلاغ بعد البلاغ فرأت الامة لا تعجز عن مقارعة الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان ، فصح رأيها أخيرا على أن تدافع عن سياستها بالمدافع :: والذى يراه كاتب هذه السطور بكل أدب وإجلال ان الغرض من اطلاق المدافع ربما كان وقر الآذان ، وتصديع الرءوس حتى لا يدرك الناس حقيقة ذلك اليوم المشهود ! ويؤيد هذا الرأى

ما أشيع من أن دويها سيكون أشد ما رواه التاريخ !

وقد اختلفوا أيضاً فى سبب التحديد ، وهو مائة مدفع ومدفع . فمنهم من قال ان الغرض مائة مدفع فقط ، والمدفع الزائد للتأكيد : ومثال ذلك قول العامة فى كفارة اليمين (ثلاثة أيام وثلث) وقال بعض اللغويين ان العدد لامفهوم له ، والمراد التكثير ، كما قال جرير وهو يعد أبناءه

كانوا ثمانين أو زادوا ثمانية   لولا رجاؤك قد قتلت أولادى

وقال بعض العدليين القدماء ، إن الغرض من زيادة المدفع هو التيقن من أنها مائة لاشك فيها ليكون استقلالا لاشك فيه !! وقال عفريت من الجن ان المائة مدفع الاساسية هى بشرى الاستقلال ، والمدفع الزائد بشرى النصف الزائد والغرض هو التامين على قول أنصار مشروع ملنر انه (استقلال و نصف) والله أعلم بحقيقة المراد

بقيت كلمة واحدة نقدمها الى رئيس الوزراء

ألا يعلم صاحب الدولة أن تصريحات الانجليز الرسمية كفيلة بحو ما تترك المدافع فى آذاننا ورءوسنا من الوقر والتصديع ! فان لم يكن ذلك أفلا يكون بقاء الاحتلال دليلا على أن المدافع ليس لها من الاثر الا أنها أصداء ، تتراجع فى الهواء أو ضوضاء تدوى فى الفضاء !

أيام الشباب

ولم أر كالفحشاء يخزى بها الفتى   ويثلم منها عرضه فيهون
وما كان زين النفس الا عفافها   ولكن لايام الشباب شئون

بلاغة طالب

بين يدى الآن ورقة صغيرة بالية ،سأمزقها بعد لحظة، ولو تركتها بلا تمزيق لما ضمنت لها البقاء . لأنها من طالب يائس ، أفاض عليها من روحه الضعف والذبول !

سقط ذلك الطالب فى امتحان البكالوريا فخر صريع اليأس والقنوط ثم كتب فى تلك الورقة هذه الكلمة

« يا .

كفنت قلبي بالبكالوريا ، ودفنتهما فى قبر الخيبة : ولن يعيش جسد بغير قلب » (. . .)

هكذا يكتب الطلبة، وهكذا يفكرون، ولا ندرى من المسئول عن ضعف هذه النفوس . فقد أعددناها لتربية الأمة فاذا هي لاتصلح لغير الرثاء !

قد لايلام الطلبة لأنهم لم يجدوا حولهم غير التكالب على الوظائف ولا سبيل الى السبق فى هذا الميدان غير نيل الشهادات الثانوية والعاليه ، فمن الحق عليهم إن سقطوا فى الامتحان أن يعملوا بقول الشاعر .

والأسى واجب على الحر إما نية حرة وإما رياء

وكذلك نرى «الساقطين» مابين منتحرأو مريض !

إنما اللوم كله على علماء الأدب والأخلاق ، فقد كان فى مقدوهم أن ينشئوا الرسائل ، وينظموا القصائد ، ويؤلفوا الكتب ، يضربون فيها الامثال لليائسين والقانطين ، وكان فى مستطاع أية جمعية أدبية أن تطبع

كتاب سر النجاح وتذيعه بين الناس إن عز التأليف والتعريب ! وكان الواجب على الجرائد اليوميـة أن تقتضب الاخبار السياسيـة الطويلة العريضة التى لو حكم فيها العقل لعرفنا أن تسعة أعشارها كذب واختلاق ثم تفسح المجال للكتابة فى تقويم هذه النفوس الناشئة ، التى نخشى إن غلبت عليها هذه النزعات الخطرة أن تصبح بعد قليل خزيا لهـذه البلاد !

كلمة

من مقدمة ذكرى فريد بك

هذه صحائف بيض ؛ نكتبها لمن كان له قلب . ليعرف أن عظماء الشرق خير من عظماء الغرب ؛ وأن ابن النيل فى باسائه ، أشرف من ابن التاميز فى نعمائه ؛

وليعلم الذين فى قلوبهم مرض ، أن مصر التى كانت عروس الممالك لاتزال تنبت عرائس النفوس . وكرائم العقول ، وأنها ان حرمت الحول والطول ، فقد منحت الفضل والنبل ، وأنها خليقة بأن تقتلع الظلم من أصوله . والجور من جذوره . كما يقتلع الماء وهو صاف شفاف . مايعترضه من لفائف الأعشاب . وقذائف الأوشاب . وأن تمحو آية الذل ، كما تمحو الصبح آية الليل . وأن تنسخ الاحتلال . كما تنسخ الشمس الظلال

ومن يك مثلنا حسباً ومجداً تشجعه الصواعق والرعود
فان يك سرهم منعى فريد فكل غضنفر منا فريد

علماء الازهر الشريف

تألفت جمعية من العلماء العاطلين للبحث عن موئل يفزع اليه خريجو الازهر الشريف ؟

والظاهر ان فريقا من هؤلاء لايزال يحسب ان من الفرض على الامة ان تمون أهل العلم وتجرى عليهم الارزاق . وهى خرافة قديمة وضع اصولها الملوك الجبابرة الذين رأوا من حسن السياسة أن يشتروا ضمائر العلماء بالهدايا والمال ؟ وقد نجحت هذه السياسة وعاش العلماء زمنا غير قليل يدعون الى الزهد والخمول : وما ظنك بقوم لم تضطرهم مطالب الحياة الى ولوج ابواب الكسب والارتزاق : بل وجدوا كل مايشتهون حاضرا عتيدا كطعام الجنة التى وعد بها المتقون

واليوم يفكر بعض المخذولين فى توزيع العلماء على القرى والبلدان ليعلموا العامة أصول الدين ، ثم يتقاضون راتبا يجمع (رسميا) من المسلمين !

نحن لا نمانع من يعمل لراحة خريجى الازهر، ولكننا نأبى ويأبى الدين أن يكون العلماء عالة يتكففون ، وهم لم يخلقوا الا لهداية الجماهير وارشادهم الى مناهج الحياة !

لقد أساء الضعفاء كثيرا الى المعاهد الدينية ! وقد آن لذوى العزائم الصادقة أن يضربوا على أيدى هؤلاء بأيد من حديد ، حتى لايذهبوا بالبقية الباقية من كرامة الازهر الشريف « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون »

العفو يا هانم !

كتبت الآنسة انصاف لصديقتها علية كلمة عن المعممين وشعرهم فى الغزل والنسيب . وكاتب هذه السطور معمم أصابته العدوى ـ كما قالت الآنسة انصاف ـ فانغمس فى الحمأة ، واندفع وراء الشيطان ، وجاهر بالحب ، وتبجح بالغزل ! ويعلم الله أنى فكرت فى التوبة حين قرأت كلمتها الطيبة ! ولكنى رجعت على عقبى حين رأيتها تقول فى نفس الكلمة ما نصه « إنى أعتقد أن الغزل فيه من الخطر ما فيه خصوصا على دقات القلوب الشابة : فهو مخدر شديد الفعل سريع التأثير وهو حيلة سحرية للتسلط على النفوس المطمئنة الهادئة » أفلا يرى القارىء ان الآنسة انصاف تدعو الشعراء دعوة صريحة الى الغزل والنسيب ، ومن ذا الذى يا سيدتى لا يطيل قصائد الحب ، وهو يسمعك تقولين (ان الغزل مخدر شديد الفعل سريع التأثير وهو حيلة سحرية للتسلط على النفوس) ثم يراك تنشدين بعد ذلك قول الشاعر

خدعوها بقولهم حسناء ... والغوانى يغرهن الثناء

آمنا وصدقنا بأن الغوانى يسحرهن التشبيب بشهادة الآنسة إنصاف وسأستعين الله وأنظم قصيدة جديدة ، أو انشر قصيدة قديمة ، أتصيد بها قلوب الحسان ، والاثم على رأس هذه الآنسة الكريمة والسلام

الحب الشامل

أشجاك ما خلف الستار وانما ... خلف الستائر لؤلؤ مكنون
والناس فى غفلاتهم لم يعلموا ... أنى بكل حسانهم مفتون

جناية الكتاب والشعراء

ان الشر لكثير فى هذا العالم ، وأظهر مايكون فى الكلمات الجوفاء التى أشاد بذكرها الشعراء والكتاب : والا فأى خير جناه الناس من الصداقة ، والاخلاص ، والوفاء ، والأيثار ، وحفظ الجميل ، والبر بالوعد والوفاء بالعهد ، وما الى ذلك من الالفاظ التى لامعنى لها ولا مدلول !

إن هذه الكلمات حبائل وأشراك ، يؤخذ بها سليمو النية فى هذا العالم الطافح بالخبث والدهاء ! وما أخطر الأسى حين يؤمن المرء بانه ملك بعض القلوب ثم يتبين بعد ذلك أنه وحده المملوك ، ولست أنكر أن لبعض الافراد عواطف شريفة ، ونوازع نبيلة ، ولكنى آسف لخيبة هؤلاء فى معترك الحياة ! فمن كان فى ريب من ذلك فلينظر دواوين الشعراء ورسائل الكتاب ، وانى لواثق أنه لن يجد غير البكاء والعويل !

وانى لاذكر أن بعض الفرنسويين كتب كتابا عن أيام الاسبوع فى لندرا فلما وصل إلى يوم الاحد ترك له صحيفة بيضاء ، إشارة الى أنه يوم هادىء قليل الصخب والاضطراب ! وما أجدر من يكتب عن اخلاق الناس بان يترك صحيفة بيضاء حين يصل الى الكلام عن الصداقة والوفاء ، إشارة الى انقراضهما من الوجود . فيأيها الكتاب والشعراء : لاتسرفوا فى وصف خواطر القلوب ، وخوالج الافئدة ، فان فى الناس من لاقلب له ولا فؤاد !

ويا أيها القراء . حذار أن تصدقوا كل ما يكتب أو يقال ، وإلا حقت عليكم كلمة العذاب

عاقبة اللجاجة

المرأة ـ كما قال بعض الكتاب المحدثين ـ مخيلة خاصة ، وعقل شاذ ، يصدر الآراء مشوهة بطبيعته دون ترو أو تكلف ، ولها آراء فى الحياة وفى الخير والشر لاتدرك . ولها نوازع نفسية تجعل منها مخلوقة غريبة ذات نفس متحركة نزاعة إلى السفاسف واصطناع الحيل ! وأظهر ماتكون هذه النوازع فى اختيار الزوج . فان النساء يكدن للرجال كيداً عظيما فى إثقالهم بشروط الزواج ! غير أن السيدات لا يسلمن من عاقبة اللجاجة. ولا يترك الله شوكة كبريائهن بلا تخضيد . فقد جاء فى بعض الانباء أن سيدة لها من العمر ثمانون ، تزعم أنها لم توفق فى كل حياتها إلى شاب تتوفر فيه الشروط الآتية (١) أن لايتجاوز الخامسة والعشرين (٢) أن لايكثر من الجلوس قرب النافذة حيث تمر النساء والبنات (٣) أن يظل مرافقاً لها آخذا بذراعها حيثما ذهبت ولو إلى الحمام (٤) أن يحضر إلى البيت ست مرات فى اليوم (٥) أن يأكل معها فى صحن واحد (٦) أن يعترف لها عند المساء بجميع غلطاته فى النهار (٧) أن يكتب لها فى لائحة أسماء جميع السيدات اللواتى يكلمهن على أن تقدم اليها كل ليلة عند الجلوس على المائدة (٨) أن يكون حليق الشاربين طويل اللحية (٩) أن يقبلها كل يوم خمس عشرة قبلة على الاقل !

وقد قيل ان هذه الآنسة (عدلت بعض هذه الشروط ؟) ثم وفقت أخيراً الى اختيار زوج عمره عشرون سنة ، ولكنه أعمى . فلاخوف عليه من الجلوس أمام النوافذ ! أما أمر مرافقتها فذلك واقع بطبيعة الحال لان

زوجها فى حاجة الى من يقوده . اما اشتراط حضوره ست مرات الى البيت فقد أسرف الزوج فى تحقيقه لانه أعمى يلازم البيت ! وكذلك يأكل معها فى الصحن الذى تريده ! وقد حرمه عماه من مقابلة السيدات والاوانس !

وهكذا تنال العدالة الالهية من غطرسة النساء. ولو أن المرأة عنيت بتقويم نفسها قبل أن تعنى باختيار شريكها فى الحياة ، لشغلت (بنت الثمانين) عن شروطها التسعة ، ولرزقها الله رجلا يفى بالعهد وهو طائع ، ولكنها بغت واستطالت فكان ما نقلناه من حديث تلك العجوز الشمطاء.

إن الضعف وحده سلاح المرأة ، فلا يحسب السيدات أن القوة تدنيهن من السعادة، لان فى عناد الرجل صرفا له عن المرأة العنيدة ، وهو إن لم يمنحها غضبه ، فلن يمنحها رضاه . فما هذه الجلبة ؟ وما ذلك الصياح وكيف تسمو المرأة الى مشاركة الرجل فى الحياة الاجتماعية ، وهى فى حاجة الى قلبه ، ولن يمنح الرجل قلبه للمرأة الا وهى مطواع ذلول ! لقد كانت المرأة ضعيفة فما منع ذلك الرجل من أن يخضع لها وهو قوى ، ولكنها إن قويت فسيعرف كيف يفل الحديد بالحديد

التهمة بالهوى

عجبت لهم أنى رمونى بحبها ولا مهجتى رهن لديها ولا قلبى
فيارب صدق فى هواها عواذلى فان عناء ان ألام بلا ذنب
والا فلا تقطع على ملامهم فان ملام المرء فاتحة الحب

اخرجوا من عزلتكم

وانظروا فى أى عصر تعيشون

القى الاستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق محاضرة فى الجامعة المصرية عن رأى رينان فى الاسلام ورد السيد جمال الدين الافغانى عليه. وقد لاحظ المنصفون يومئذ ان الشيخ مصطفى عبد الرازق لم يوفق فى سكوته عن دحض أقوال رينان مع ظهور الكلفة عليها وبعدها عن مجرى التفكير المعقول. ولاحظوا كذلك انه لم يتحفظ فى نقل رد السيد جمال الدين بالرغم من المناقضة الظاهرة بين هذا الرد وبين ما كتبه هذا الفيلسوف عن الاسلام فى مواطن كثيرة كان فيها من المخلصين. وقد استهدف الشيخ مصطفى عبد الرازق لمثل قول الشاعر

مقالة السوء إلى أهلها ... أسرع من منحدر سائل

ومن دعا الناس الى ذمه ... ذموه بالحق وبالباطل

وكذلك اندفع الناس يظنون فى هذا المحاضر الظنون. ثم أعلن فضيلة الشيخ بخيت أنه سيرد على رينان فى الجامعة المصرية فكان يوما مشهوداً ضاقت فيه صالات الجامعة عن الحاضرين فحاضرهم الاستاذ فى صحن الجامعة وهم وقوف!!

وقد ظلت هذه الحركة محور الاحاديث فى مصر اياما كثيرة. وفهم الناس منها أن علماء الازهر أحياء، وانهم يغارون على الدين الحنيف.. غير انا قرأنا اخيراً كلمة فى المقطم لمخلوق غريب ذيل توقيعه بكلمة «من علماء الازهر الشريف» وتنحصر هذه الكلمة فى نقطتين: الاولى الرد

على الشيخ بخيت فى ذكره ان رينان غير فيلسوف . والثانية الثناء على الشيخ مصطفى عبد الرازق لانه من آل عبد الرازق الذين اصيبوا فى هذا العام مصيبة حزن لها المصريون اجمعون

وأنا لاانكر ان المصريين حزنوا لوفاة المرحوم حسن باشا عبد الرازق . ولكنى انكر هذه الطفولة وهذه الحطة فى نفس انسان ينتسب الى العلماء ويهوى بنفسه الى الحضيض فلا يفرق بين السواد والبياض فى موقف لايضل فيه غير عمى القلوب

وانى لانزه قلمي عن ذكر هذا الانسان الذى ضاقت عليه الدنيا بما رحبت حين رأى الشيخ بخيت ينكر ان رينان فيلسوف . فى حين ان هذا المخلوق لايفقه اللغة العربية فضلا عن لغة رينان . وانما هو دعى غفل عنه الدهر فيمن غفل عنهم ممن دنسوا الازهر حين ضموا الى قائمة العلماء !

احسن علماء الازهر هذه المرة لانهم انتقلوا الى الجامعة المصرية فواجهوا مايقال عن الدين هناك . وقدكانوا من قبل يكتفون بنقدمايجرى من هذا القبيل فى مجالسهم الخصوصية . وكنت اود لو عنى الشيخ الدجوى فألقى محاضرة فى الجامعة المصرية فى الرد على رينان . لانه فضلا عن علمه يمتاز بحسن الأداء . فقد تأفف الناس جميعا من القاء الشيخ بخيت لمحاضرته ولولا ان الشيخ عبد الوهاب النجار القى الجزء الاخير منها لحصبه الناس !

هذا حق يجب ان نجهر به ، وليس اخلاصنا لاساتذتنا فى الازهر بمانع من أن نواجههم بهذه الحقيقة . بل اخلاصنا لهم يفرض علينا دعوتهم الى نبذ هذا الخمول . فنحن قادمون قريباً أو بعيداً على حياة عاملة ، أخشى كثيراً ان يتخلفوا فيها عن الأحياء . واست أدرى لم أشتهى ان اصارح

استاذنا الشيخ الدجوى بان ما نقرؤه له فى الدفاع عن الدين لا يغنى شيئاً ما دام لا يوجه بعض جهوده الى اصلاح المعاهد الدينية . ولست أدرى ايضاً لم أحب ان اكون صريحاً مع هذا الرجل الذى أشعر بانه من صفوة المؤمنين فقد كان الظن به أن يساعدنا ونحن ابناؤه على ما نقاسى فى الازهر من همجية سيصبح الازهريون صرعاها بعد قليل . ولو ان فضيلة الشيخ الدجوى كان من قطر غير هذا القطر وزار الازهر ولو احقه لما شك فى ان العلماء ضعيفو الايمان ، والا فما رأيه فى رئيس يفرش بيته بالبساط ، ويضيئه بالكهرباء، ويترك الازهر بلا ضوء وبلا حصير ؟

ان رينان على حق فيما وصف به المسلمين . نحن الذين اسأنا الى ديننا إساءة قد لا يتجاوز الله عنها وقد لا ينساها التاريخ . فما ذنب رينان . لقد ذكر أن بعض المسلمين كان يحرق المكاتب العلمية .. فما رأى مولانا الشيخ الدجوى فى ان علماء هذا العصر يقتلون أبناءهم بلا رحمة ، ويسومونهم سوء العذاب

هنيئاً لك ياسيدى الاستاذ . سينصفك التاريخ لانك تعمل شيئاً يحفظه التاريخ . وويل لكل طالب يرميه اهله فى جحيم الازهر فيفقد شبابه وقوته، ثم يخرج الى العالم فلا يفقه منه شيئاً ولا يعرف العالم عنه شيئاً لانه كان يحفظ اشياء لا صلة لها بالعصر الذى يعيش فيه

اننا نغضب حين يظلمنا رينان وامثال رينان . ولكننا نتلقى المظالم باسمين حين يظلمنا كبراؤنا وعلماؤنا .. بارك الله فى رينان ومن ذكرنا بخطبة رينان . فقد يكون لهذه الخطبة ذكرى تنفع المؤمنين

تكلم يامولانا الشيخ الدجوى . تكلم ياابيض الناس وجها وافصح الناس

لسانا . واقسم لولا حبى لك لما خصصتك بهذا النداء ، تكلم هذا حين الكلام . لا تكفينا كلمة فى الرد على هذا أو ذاك . لن يغنينا تفنيدك لاعداء الاسلام مادام المسلمون انفسهم مساكين . ومادام طلبة المعاهد الدينية فى ظلمة قاتمة من هذه الحياة (الدنيا) التى رماهم بها نظام الازهر العتيق !

اكتبوا ماشئتم . وارموا الناس جميعا بالاثم والفسوق ، ولكن لا تنسوا أن الازهر إن ظل على هذه الحال فلن يكون مآله غير الخراب اعرفوا فى أى عصر تعيشون . واعلموا ان الدين لن ينهض بنفسه ، لأن الحق لا حياة له إذا نام عنه انصاره واشياعه !

كذب رينان فاصدقوا انتم . وضل تابعوه فاهتدوا انتم ، والحذر من ان تسكنوا الى ما يتمدح به المتمدحون من مجد الحضارة الاسلامية فى عهد العباسيين ، والفاطميين ، فتلك ايام خلت ، ولا ينفعنا الماضى بشىء ان لم نسبق اهل العصر الى العلوم والفنون

هذه كلمة اعرف انها قاسية ولكنى ارجو حضرة المخلص مدير جريدة الامة ان ينشرها كاملة (ان اريد الا الاصلاح مااستطعت وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه انيب)

وقد علقت جريدة الامة على هذا المقال بما يأتى :

« نشرنا هذه الكلمة ونحن نعلم انها حادة حارة . ونعرف انها ستغضب وترضى ولم ننشرها فقط لرجاء الاستاذ كاتبها فان علينا فرضا ان نصدع بالحقيقة كيفما كانت ومهما اصابت نعم نشرناهذه الكلمة لاننا نتألم لما يتألم له كاتبها الاديب من قعود رأيناه ولم نزل نراه فى سادتنا علماء الازهر حماة الدين . سادتنا المسئولين عند الله قبل كل انسان عن هذا الدين وما يصيبه من اعدائه وهم عن ذلك غافلون او مستيقظون ومعرضون ...

ولسنا نعلم أى خير فيما يتوفر عليه العلماء من اساليب العمل فى معاهدهم العظيمة؟ فعندهم كتب الفلسفة البائدة مشحونة بالجدل فى الدين . لا نعلم ما قيمتها عندهم وما قيمة الاشتغال بها وهى تتضمن شبهات وردت على الدين فى أزمنه قديمة وردها أهل الدين فى تلك الأزمنة ؟ اليس الاشتغال بها اضاعة للوقت فى غير جدوى بينما يسمعون ما أحدثه هذا العصر من شبهات أشد من تلك وأقوى

نرجو أن يخرج العلماء من عزلتهم ويستعيضوا من ابحاث الفلسفة القديمة وشبهاتها درسا لفلسفة هذا العصر وما استجد فيه من الشبهات ولا يليق بهم ان يكونوا اصواتا تحكى اصوات اسلافهم الاقدمين فى عصر لا يسمع هذه الاصوات ولا يعرفها

ان العلماء لا يؤدون حق الدين عليهم اذا توالت هجمات اعدائه عليه وهم وقوف يشاهدون »

زمان الصبا

زمان الصبا هلا عن الغى ناهيا ... فترحل محموداً وتحمد ثاويا

صرفت نفوس الناشئين عن العلا ... وأوردتهم يماً من الجهل طاميا

لقد كنت عهد الجد لو أبصر الفتى ... فودع رياه وأصبح ساليا

ومن لم ينل عند الشبيبة حظه ... من المجد لم يخضع له المجد ثانيا

أقول وقد أبصرت مجد عشيرتى ... جزى الله قومى خير ما كان جازيا

همو سلكوا للمجد كل تنوفة ... وهم غرسوا مجداً على الدهر باقيا

فلست لقومى ان جريت مع الصبا ... فدنست عرضى أو عققت رشاديا

الى ...

مودة لك لم أظفر بزينتها ... تقطع الحب فى آثارها قطعا

وزادنى كلفا فى الحب ان منعت ... أحب شىء الى الانسان ما منعا

حب ابن أبي ربيعة وشعره

فى فبراير سنة ١٩١٩ ألقيت ثلاث محاضرات فى الجامعة المصرية عن حب ابن ابى ربيعة وشعره : تحت إشراف الأستاذ النقادة الدكتور أحمد ضيف ، وقد طبعت هذه المحاضرات بعد إلقائها بقليل . ويرى الناظر فى ذيل الكتاب هذه الكلمة الجريئة :

« وإنى لموقن أن فى الناس من لا يطرب لهذا النحو من البيان . ولكنى لم أكتبه إلا لمن قدر له ان يدرك اسرار الجمال ! وهدى الله من يحسب ان التأليف لا يصح إلا فى الابحاث التى تشبه بعض الاذهان فى الجمود ! ! »

وقد نفدت الطبعة الأولى من هذا الكتاب ، وستظهر الطبعة الثانيه عما قريب . من أجل هذا أسبق النقاد الى بعض المآخذ التى أرانى مضطرا الى إبقائها إجلالا للثقة بالنفس ، وإكباراً لنزق الشباب ! !

انظر قول ابن أبى ربيعة :

أبرزوها مثل المهاة تهادى   بين خمس كواعب اتراب
وهى مكنونة تحير منها   فى أديم الخدين ماء الشباب
ثم قالوا تحبها ؟ قلت بهراً   عدد الرمل والحصا والتراب

أتدرى كيف علقت على هذه الأبيات الحسان ؟ اقرأ الكلمة الآتية « ووجه الحسن فى تحير ماء الشباب انك تنظر الى الخدود الموردة ،

فتراها كالشفق تتنقل من تحته الشمس ، أو كالمشكاة يتموج فى قلبها المصباح

فى سبيل الحب تلك النظرة ! يوم رأيته وقد أبل من حمى أضرعته ، فرأيت ماء الشباب يدب فى تلك الخدود وهى صفراء كالورس ، فيعيدها حمراء كالورد ، وإذا الأنس يتمشى فى فؤادى لشفائه ، تمشى البرء فى أعضائه : »

وهذا استطراد لا يشك القارئ فى أنه غير محمود ، ولكنى أستغفر الله ! !

وفى موطن آخر يجد القارئ هذه الكلمة :

« لم يكن ابن أبى ربيعة ممن اذا غاب عنه حبيب أخذ فى البكاء عليه والحنين اليه . تلك سبيل الشعراء المفجعين . الذين كانت قلوبهم أعوانا للدهر عليهم . وكانت نفوسهم أخصاما لهم . أولئك هم المعوزون فى عالم المحبة ، والمحرومون فى دولة الصبابة . أولئك الذين يرون الجمال ظلا ظليلا ، ثم لا يستطيعون أن يتفيئوا ظلاله ، أولئك الذين يحسدون الغلائل على الأعطاف والعقود فى النحور ، وكيف يكون ابن ابى ربيعة مثلهم مسكينا فى شعره ، وما كان مسكينا فى حبه ؟ أم كيف يصف البكاء والمدامع ، وما ألمت نفسه ، ولا دمعت عينه ؟ بعداً للذلة حتى فى الحب ! وتباً للمسكنة حتى فى الغرام ! »

وهذه صورة نفسية قد لا يقتضيها موضوع الحديث . ولكن هذا الذى كان !

ويرى القارئ فى هامش الصحيفة الثانية عن ترجمة الشيخ حسين الحكيم ما نصه :

« وكان رحمه الله آية الآيات فى حسن الخلق ، وصباحة الوجه ، واصالة الرأى ، وحلاوة الحديث ، وكان لايعدله عندى غير شقيقى (سيد مبارك) الذى فقدته معه فى أسبوع واحد . وكان موتهما معا بالحمى الاسبانية . لارد الله لها غربة ، ولا قدر لها رجعة . وكان أخى سيد من أقوى الفتيان بأسا وأمضاهم عزمة ، ولو عاش لضربت بشجاعته الامثال »

وقد سألنى بعضهم عما يعنى القارىء من هذا التفصيل، فأجبته : إنه يعنى مؤلف الكتاب !

ويرى القارىء هذه الكلمة عن عواطف أهل الحضر :

« وقلما يصدق للحضريين حب ، أو تبقى لهم صبابة، إذ يرون من متممات الظرف ، ومكملات الأدب، أن يحيي الرجل بعين باكية ،وقلب خفاق ، فلا يزالون يتلمسون الهوى ، ويتحسسون الصبابة ، حتى تتاح اليهم أسبابها ،وتساق اليهم همومها

وأنا الذى اجتلب المنية طرفه فمن المطالب والقتيل القاتل

وهذه مسألة فيها نظر كما يقولون ! ولاأستطيع أن أعد مافى كتاب (حب ابن ربيعةوشعره) من الهفوات، ولكننى أحمد الله على أن وفقت الى تصوير ابن أبى ربيعة وتمثيل حياته ، حتى كأنك تراه .

ولا يفوتنى أن أذكر ان حضرة صاحب الفضيلة الشيخ مصطفى القاياتى قرظه بكلمة بارعة ، نشرتها فى مقدمة الكتاب، لاحبافى الثناء ، ولكن حرصا على هذا الاثر النفيس . وأسأل الله التوفيق الى تحقيق ما اطمح اليه من احياء الآداب العربية وهو حسبى ونعم الوكيل

ذكرى صديق

كان مسلم بن الوليد يعجب من اتفاق اليأس والحنين ، وكنت أشاطره العجب ، فأترنم بقوله :

حنين ويأس كيف يلتقيان مقيلاهما فى القلب مختلفان

ثم أصبحت مؤمنا بهذا الاتفاق ، فلا أراه عجيبا ، فقد مات صديقى الشيخ حسين الحكيم منذ سنين ، وأمسيت يائسا من لقائه ، بل الطمع فى لقائه جنون ، ولكنى أحن اليه كأنه حى وأكاد أزوره فى منزله ، لأنسى حين القاه ، همومى وأحزانى ! !

والحق انى لا أريد الاقتناع بأنه مات ، فليس الى الصبر على موته سبيل ، وانما أغالط حسي ، وأخادع نفسى : فأتوهم تارة أنه على سفر ، وأن هذا السفر طويل ، وأتخيل تارة أخرى أن الموت لا حقيقة له ، وانما ننقل من دار الى دار كما قال أبو العلاء ، وانى سأجده فى انتظارى حين انقل الى الدار الباقية ، فالى الملتقى ياصديقى العزيز ! !

آمنت بالله ، فما أحوجنى الى الايمان وما أغنى الله عنى ، وعن إيمانى ، وعن جميع العالمين . وماذا يغنى الشك إنه لا يقف دورة الفلك ، ولا يحول بين القدر وبين تصرفه فى الكائنات ، بالمحو والاثبات . يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ! ! آمنت بأن الله قوى ، وأن العبد ضعيف ، وآمنت بأن الله عزيز ، وأن العبد ذليل ، ولكن اليس لى فى ضعفى وذلى ، أن أطلب من الله فى عزته وقوته ، أن يهبنى الطمأنينة على مصيرى

ومصير من افقد من الاصدقاء؟!

***

ولد الشيخ حسين الحكيم في سنتريس ، من قرى المنوفية ؛ ثم سكن القاهرة ، والتحق بمدرسة القضاء الشرعي ونال منها شهادة العالمية، ثم عين مدرسا بمدارس الجمعية الخيرية الاسلامية ، فقضى سنه فى المدرسة الواصفيه ببورسعيد . وبضعة أشهر فى مدرسة دسوق الثانوية . وقضى نحبه هناك يوم الجمعة ٩ ربيع أول سنة ١٣٣٧ — ١٣ ديسمبر سنة ١٩١٨ ثم نقل الى القاهرة مساء السبت ودفن بها مساء الاحد . وسبحان من من تفرد بالبقاء!

كان للفقيد أصدقاء ثلاثة. ومازالوا أصدقاءه وان حجبه عنهم التراب أولهم كاتب هذه السطور . وثانيهم الاستاذ الشيخ حسن مأمون قاضى محكمة زفتى الشرعية . وثالثهم الشيخ مصطفى الجمل المحامى الشرعى ففكرنا بعد موته فى أن نوفيه حق الرثاء فى احدى الجرائد اليومية . فكتبت عنه أربع رسائل بعثتها الى جريدة المنبر . ولكنها ألقت بها جميعا فى سلة المهملات إذ كانت لا تعرف ما نعرف من مجد ذلك الصديق!! فضممت تلك الرسائل الى صورة الفقيد . والى خطاب بعثه الى من القاهرة . وخطاب بعثه الى من بورسعيد . ووضعت هذه الذكريات فى مكان حريز آملا أن يجيء يوم اسجل فيه هذا الأثر الغالى! فلما كانت الثورة المصرية وجاء دورى فى الاعتقال لم يكن همى حين زارنى فى منزلى مأمور قسم الدرب الاحمر اذ ذاك المرحوم محمد بك فرج إلا ان آخذ معى الى المعتقل مابقى من آثار الشيخ حسين الحكيم لتكون أنسى فى وحشة الاعتقال!

فلما عدت وضعتها فى مكانها من جديد. وصرت أتردد اليها كما يتردد العابد الى المحراب. ثم فتش البوليس منزلى فى الصيف الفائت فبعثر هذه الأوراق. فأعدتها الى مكانها مرة ثالثة. ولكن البوليس عادففتش منزلى فى الاسبوع الماضى. فعزمت نهائيا على نشر هذه الآثار فى كتاب البدائع لأقوم لصديقى الراحل ببعض ما يوجب الوفاء!!

كان صديقى الشيخ حسين لا يرسل الى خطابا إلا ابتدأه بوصف ما أرسل اليه من الشعر. أو النثر. ولو كنت أرى رأيه فى شعرى ونثرى لنشرت ما بعث به الى من آيات الثناء. ولكنى أرجوه أن يأذن لى بطى هذه الصحيفة فقد لا تهم القراء. واكتفى بنشر ما يمثل سمو نفسه. وصفاء روحه. ورونق أدبه. وجمال خلقه.. فمن ذلك خطاب بعثه الى بتاريخ ٥ مايو سنة ١٩١٨ جاء فيه:

«أخى! لقد حالت بينى وبين الانتفاع بآثار قلمك، والتمتع بمكنون نظمك ونثرك. ضرورة حياتى الجديدة التى أنستنى كل شىء — ما عدا صداقتنا الوطيدة الاركان المتينة الدعائم — وما كان بودى شهد الله ولا عن رضا. ولكنها الحياة. تشغل المرء عن نفسه. وتلهيه عن واجبه. وكان ما كان:

والآن. هل لاخى أن يفتح لى قلبه. ويحلنى من نفسه المحل الذى كنت أشغله من قبل؟ وهل أجد من كريم أخلاقه. ولطيف عفوه. وجميل رعايته. وحسن عطفه ما يشجعنى على احياء حب دفين. وغرام مستكن كاد يقضى عليه الاهمال. ويسحب ذيل العفاء عليه النسيان. ويذهب برونقه وبهائه باطل هذه الحياة الفانية؟

انك اذا فعلت ذلك ياسيدى — واظنك فاعلا — تكون قد احسنت الى احسانا لا ازال أذكره. حتى يعتاق نفسى حمامها. ويهال عليها ترابها. وضممت هذه الى نظيراتها — وهى كثير عندى — بل هى كنزى الثمين. أحرص عليها حرص

البخيل بماله . والعفيف بعرضه — هى سلواى فى هذه الديار النائية . والبلاد القاصيه اذا ذكرتها ذكرت نعيمنا الماضى وعزنا الغابر وهناءنا السالف

يوم كنا ولا تسل كيف كنا . نتهادى من الهوى ما نشاء

نعم تصرم حبل ذلك الزمان السعيد وخلفه آخر أسود من الغراب وأمر من الصاب يصدق فيه قول الشاعر

ذهب الذين يعاش فى اكنافهم وبقيت فى خلف كجلد الاجرب

لولا انه اراد الانسان واردت الزمان فكلاهما غادر ماكر لا يؤمن كيده ولا يتقى شره . ولا رعى الله حياة التدريس لاطفال حمر الحواصل . لا يحسنون النطق . ولا يفرقون بين التمرة والجمرة . ولا بين الالف والمأذنة . حياة شبيهة بالموت . تمسخ العالم جاهلا . وتقلب المفكر غبيا . وترجع بالمرء الى ما قبل الآن بعشرات من السنين .. فتجاوز عما تمر به فى كتابى من أشياء لا ترضيك . فهذه احدى سيئات الدهر الينا ! !)

وفى هـذا الخطاب كلمة قاسية فى وصف بور سعيد إذ يراها « قطعة من أوروبا فى الاخلاق والنظام والعادات » وقد رأيت التجاوز عن هذه الكلمة ، مراعاة لعواطف أولئك الناس ، فقد تكون الغربة أثرت فى ذلك الأديب فقال ماقال !!

ولا أنسى انه أجزل الثناء على صديقيه الشيخ محمد طاهر سمره ومحمد افندى بهجت ولعلهما كانا زميليه فى المدرسة الواصفية ، وأحب أن يتنبه القارئ الى أن فى القطعة التى نقلتها من خطابه دليلا على شعوره بأن أجله قصير ، وقد لفتنى الى ذلك حضرة صاحب الفضيلة الشيخ مصطفى القاياتى حين أسمعته هذا الخطاب فى سنتريس وكان شرفنى بالزيارة هناك

وقد أرسل الى من مصر خطابا رقيق الحاشية ، استهله بهذا البيت

سلام الله لارضى سلامى | فكل تحية دون المقام

وفى هذا الخطاب كلمة عن رأيه فى التسرع بالزواج ، ننقلها بنصها لاهمية الموضوع الذى كتبت عنه . قال :

« وكنت اتمنى من صميم الفؤاد أن يسعدنى الحظ فانعم برؤية ذلك المهرجان الذى أقامه حضرة الوجيه السيد عبد الحميد مبارك احتفالا بزفاف نجله الاديب الشيخ على مبارك لاقوم بواجب التهنئة . ولاوجه اليه بعض اللوم على تسرعه فى هذا الزواج . فانت تعلم يا أخى ان للشبان أطوارا مختلفة فى حياتهم . تتكون حسب تربيتهم التي خصصوا انفسهم لها . وبما رضى الشاب بعمل اليوم . لقصر نظره وصغر عقله . حتى اذا دخل فى طور جديد من أطوار حياته . تحول فى عينه نعيم هذه الدنيا الى شقاء . ورضاه الى سخط . ويندم ولات ساعة مندم !! »

وآخر خطاب وصلنى من هذا الصديق جاءت فى ختامه هذه الكلمة :

« انا سعيد بالاقامة فى مصر ولا ينقصنى الا التمتع بلقياك فآمل ان يسمح الدهر برد نعيمنا الشارد وانسنا الغابر . فأين ذلك اليوم ومتى اراه ؟؟ »

وهنا يعجز القلم عن رد هذا الخطاب ، فقد سمعت أن هذا الصديق مات فى ديسمبر سنة ١٩١٨ ، وعلمت بعد ذلك أن شقيقة الاستاذ حامد افندى الحكيم مات فى أسيوط فى أواخر السنة الماضية ١٩٢٢ م

وقد كان حامد افندى غزير العلم ، شهي الحديث ، وكأنى أحاوره الآن على شاطئ النيل فى سنتريس . وكنت اتعزى به عن شقيقه الشيخ حسين . ولكن الدهر بالكرام ضنين !!

شهابان منا اوقدا ثم أخمدا | وكان سنى للمدلجين سناهما
لقد ساءنى ان عنست زوجتاهما | وان عريت بعد الوجى فرساهما
ولن يلبث العرشان يستل منهما | خيار الاواسى أن يميل غماهما

ليلة وليلة

صحبت « عفريت الليل » الى حفلة راقصة فى مصر الجديدة : وكنت مدعوا لهذه الحفلة كما دعيت لاختها من قبل فى شارع عماد الدين : وقد غالبت حيائى عند اجابة الدعوة الاولى ثم غالبته عند اجابة الدعوة الثانية : وخلقت لنفسى ماشاء الهوى من شتى المعاذير ! !

وانى لمحدثك عن المرقص الاول والمرقص الثانى ، تلبية للصديق العزيز عفريت الليل : ولكننى أتقدم هذا بابلاغك ماجال فى خاطرى عند تسلم بطاقة الدعوة ، فقد أعرف أنى شيخ وأعرف أنى فى نفسى من حماة الدين الحنيف ، والله عليم بذات الصدور ، ولكنى تذكرت بجانب ذلك أنى صحفى ، وان المهنة تقضى على بارتياد مواطن الشبهات ، ومواقف التهم ، لأرى كيف يعيش الناس . ولأقابل بين ماأراه على لوح الوجود . وما أراه على لوح التاريخ !! وعندى أن الصحفى كالطبيب : فكما يجوز للطبيب ان يرى اجمل ماتستر المرأة ليقف على موقع الداء . يجوز للصحفى ان ينظر أغرب ما تكتم الامة ليقف على موطن الداء . ولا فرق بين هذا وذاك . إلا ان الطبيب يعالج الجسوم . والصحفى يعالج العقول . فمن الجناية ان يتورع صحفى أو طبيب عن الوقوف على بواطن الاشياء . وهو عن فهمها مسئول !

وتذكرت انى كاتب . والكاتب كالمصور . لاغنى له عن رؤية كل مكنون . ولن يعذره أحد اذا أخفق فى تصوير الغرائب المستورة . والعجائب المكنونة . بحجة الدين والاخلاق . لان الفنان لادين له الا

فى قرارة نفسه . ولا خلق له الا فى أعماق ضميره . وهو غالبا فاسق النظر فاجر البيان !!

ولئن جاز للطبيب أن يحجم عن اسعاف المريض اشفاقا على نفسه من رائحة الجراح القديمة . فقد يجوز للكاتب ان يحجم عن تعرف داء الامة رفقا بنفسه من مطالعة آثار الرذيلة . ولكننا نعرف ان الطبيب يجرم أفظع جرم ان نفر من رائحة الجروح . وليس جرم الكاتب بصغير ان نفرته مناظر الفاحشة عن درس الاصول الاولى للفاقة والبأساء . وكما أن الطبيب يمضى فى العملية الجراحية غير حاسب أى حساب لما يسديه اليه المريض من الشتائم كلما آلمته المشارط . فان الكاتب المخلص يضع (سمعته) نهبة لشتائم الصارخين من مرضى النفوس . وكلما آلمهم قلمه فسبوا وشتموا تذكر أن القلم فى يده كالمبضع فى يد الطبيب . وانه يجب أن ينسى نفسه . وأن يعرف أن عدوه هو المرض الذى يحاربه فى شخص المريض . وأن هذا المسكين لا يشتمه بصدق . وانه سينظم له عقود الثناء بعد ذهاب الداء !!

***

كانت الليلة الاولى فى شارع عماد الدين ، وكانت الليلة الثانية فى مصر الجديدة ، وكنت فيهما ذلك الفارسى الذى تخيله (مونتيسكيو) يجوس خلال باريس ، فينكر الناس ماله من زى غريب ، وينكر ما للناس من خلق غريب !

دعانى للمرة الاولى حسن افندى فائق لاسمع أنشودته فى صريع الكوكايين . فأجبت الدعوة كارها غير طائع . ولم أكد ادخل الملعب حتى التهمتنى العيون . فمن قائل جاء ليلقى عظة فى النهى عن الموبقات ، ومن

قائل ياعجباللهو لم ينج من عدواه المعممون !! فصحت فيهم انما جئت لمقابلة حسن افندى فائق صاحب انشودة « شم الكوكايين » !! فتقدم الى بعض العاملين فى المسرح وقال : لقد انصرف حسن افندى . وقد يعود بعدقليل . فان شئت شربت فنجانا من الشاى وانتظرته حتى يعود . وكانت الليلة شاتية . وكان الشاى فيها خير مشروب فأخذت أتخير مكانا بعيدا عن «همسات» الحاضرين و«غمزات» الحاضرات !! وما هى الا لحظة حتى صرخ صارخ «اضبط ! هذا صاحب مدامع العشاق !» فالتفت فاذا عفريت الليل عن يمينى . وابن الهوى عن شمالى . كأنهما منكر ونكير . أو رقيب وعتيد !! قال عفريت الليل : من أتى بك ههنا ؟ فقلت وانت من أتى بك هنا؟ قال . انا صحفى احرر جريدة اسبوعية ! فقلت وانا صحفى أحرر جريدة يومية ! فما لك تشاركنى فى الفعل وتفردنى بالعجب ؟ ثم دعانى الى تناول الشاى معه فى مكان من الراقصات قريب !

جلسنا نتحدث ، ولكنى منحته اذنا غير واعيه ، واقبلت بسمعى وبصرى وقلبى على تلك القطع المختارة من شعر الوجود ، فان النساء ياصاح قصائد مسطورة فى سجل الحياة ، واصحاب المراقص يتخيرون من هذه القصائد اعلقها بالنفس ، وألصقها بالقلب ، وقد خيل الى ساعتئذ انى لم أحضر الا لدرس هذه الطرف البديعة . لاتبين السر فى « ضلال » من فتنته الخدود ، وسحرته العيون . ولأعذر قتلى الحسن . وصرعى الجمال !

رأيت من بين الراقصات فتاة فرنسوية . واخرى اسبانية . وثالثه مصرية ! وقد رأيت الفرق واضحا بين هؤلاء الاوانس ! وأظهر ما يكون الفرق فى الحركات ، فللفرنسويات والاسبانيات حركات فى الرقص تشبه

حركات الجنود فى ميادين الحروب ! ولاهم لهؤلاء الفتيات حين يظهرن على المرقص **الا أن** يبهرن الانظار بخفة الحركة ، وسرعة الدوران ، فى حين ان الراقصة المصريه لاهم لها الا لفت الانظار الى خصرها النحيل . وردفها الثقيل ، وخدها الاسيل ، وطرفها الكحيل ،

ترنو فتنقاب القلوب للحظها مرضى السلو وحائح الاوصاب

ويحسب الرائى رقص الافرنج نوعا من الالعاب الرياضية ، اذ يرى الراقصات يتثنين بسرعة كأنهن ثعابين ، ويختفين بسرعة كأنهن شياطين : ولا تكاد الراقصة تبدو حتى تختفى فيحسب مثلى انه كان فى حلم . وان ما رآه طيف خيال !! ولا يكاد الملعب يخلو من تلك الغادة اللعوب . حتى يقبل الناس بعضهم على بعض يتساءلون . أى شمائل هذه الغادة أروح للنفس وامتع للعين . فمن قائل شعورها الذهبية . ومن قائل خدودها الوردية . ومن قائل ثناياها اللؤلؤية . ويسألنى (عفريت الليل) ما رأيك فى هذه الفتاة ؟ فأعتذر . فيعيد السؤال . فأكرر الاعتذار ، فيلح ، فاقول ويحك لم أر منها شيئا . لقد مرت كالبرق الخاطف . فان شئت هاتها بين يدى ، أتأملها قطعة قطعة ، كما أتأمل القصيدة بيتا بيتا ، وكما أتأمل الرسالة فقرة فقرة ، وكما أتأمل الكتاب بابا بابا ، ثم أحكم اى ملامحها أحق بان تسهد من أجله العيون ، وتعذب فى حبه القلوب !!

اما الراقصة المصرية فهى ملك كل عين ، وطوع كل قلب ، اذ تخطر فى المرقص ، وكأنها الغصن الرطيب ، يعبث به النسيم العليل ، تقبل فاذا هى هيفاء ، وتدبر فاذا هى عجزاء ، وترنو برفق الى كل ناظر ، فيحسب كل

امرىء أنه مرمى طرفها الناعس ، ومهوى قلبها الخافق ، فيمسى وهو صريع !! وقد تتغنى وهى ترقص ، فيروقك ما تسمع وما ترى ، حتى لتحسب انها آلة موسيقية ، صورت من ماء اللؤلؤ ، أو صيغت من نهود الكواعب ، ثم تثوب الى رشدك ، فتذكر ان هذه ليست آلة موسيقية ، بل هى احدى اللواتى كان النيل يغضب قديما فلا يرضى حتى يضم الى صدره واحدة منهن مفلجة الثغر ، وضاحة الجبين !!

حوراء ان نظرت اليـ ـك سقتك بالعينين خمرا
تنسى التقى معاده وتكون للحكماء ذكرا
وكأن رجع حديثها قطع الرياض كسين زهرا
وكأن تحت لسانها هاروت ينفث فيه سحرا
وتخال ما جمعت عليـ ـه ثيابها ذهبا وعطرا
وكأنها برد الشرا ب صفا ووافق منك فطرا

وتطيل الراقصة المصرية فى التثنى ، والتغنى ، حتى تهيج المشاعر والحواس ، وحتى يقبح الهدى ، ويجمل الضلال ، ولا كذلك الراقصة الافرنجية ، فانها تخطف البصر ، ثم تغيب . وقد تتغنى ، ولكنها تقتصر من الكلمة على حرف واحد ، ومن القصيدة على بيت واحد ، ثم تفر قبل أن تنقع الغليل !!

كيف السبيل الى اقتناص غرائر يد مى بأسهم لحظها القناص
بيض السوالف عذبة أفواهها ريا الروادف والبطون خماص
يجرحننا بنواظر ما إن لنا منهن عند جراحهن قصاص

ولم أجد هذا الفرق البعيد بين الراقصة المصرية والافرنجية ، الا فى

مرقص عماد الدين ، ففيه تظهر الفوارق بين النزعات الشرقية والغربية ، وكل حزب بما لديهم فرحون !

***

الليلة الثانية

أما مرقص مصر الجديدة — وياويلتاه من مصر الجديدة — فهو خاضع للبدعة الفرنسوية ، لا تكاد الموسيقى تصدح حتى تنتظم العذارى كأسراب الحمائم راقصات شاديات !

من بنات الروم لا يكذبنا لونها المشرق عن منصبها
فهي حسب العين من نزهتها وهي حسب الاذن من مطربها
تشرع الالحاظ فى وجنتها فتلاقى الرى فى مشربها
واذا قامت الى ملعبها كمهاة الرمل فى دربها
سألت اعطافها أردافها هل رأت أوطأ من مركبها

وكأن الحسان فى هذا المرقص ، لا يستطعن الرقص منفردات ، وكأن أقدامهن الصغيرة ، لا يستطعن حمل اردافهن الخطيرة ! فلكل فتاة فتى يطوق بيمناه خصرها النحيل ، ويسند بيسراه خدها الاسيل ، ثم يسير بها ضاحكة الثغر ، ناعسة الجفون . وكل فى فلك يسبحون ! !

ياليت شعرى وليت غير مجدية الا استراحة قلب وهو أسوان
لأى أمر مراد بالفتى جمعت تلك الفنون فضمتهن أفنان
تجاورت فى غصون لسن من شجر لكن غصون لها وصل وهجران
تلك الغصون اللواتى فى أكمتها نعم وبؤس . وأفراح وأحزان

ومن عجائب ما يعنى الرجال به ... مستضعفات لهم منهن أقران
مناضلات بنبل لا تقوم له ... كتائب الترك يزجيهن خاقان
يارب حسانة منهن قد فعلت ... سوءا وقد تفعل الاسواء احسان
تشكو المحب وتلفى الدهر شاكية ... كالقوس تصمي الرمايا وهي مرنان

وهذا المرقص ملتقى المحب والمحبوب . وليس العاشق فى حاجة الى أن يكون كابن المعتز حين يقول

هل تذكرين وأنت ذاكرة ... مشى الرسول اليكمو سرا
إن يغفلوا يسرع لحاجته ... واذا رأوه أحسن العذرا
فطن يؤدى ما يقال له ... ويزيد بعض حديثنا سحرا

بل يكفى أن يتخذ له سحنة صناعية . وأن تضع المعشوقة خرقة سوداء . على وجهها المشرق الجميل . كما يحجب البدر بالسحاب . أو كما تحجب الشمس بالضباب . ثم يتلاقيان . فلا يعرفهما رقيب . ولا يشعر بهما حسيب !!

وربما نظر امرؤ الى فتاة فاطلع منها على كل مغيب مكنون « الا الوجه الكريم » فتبعتها نفسه ، وعلق بها فؤاده ، وقد تكون اخته وما يدرى !! لان « اقطاب » هذا المرقص يبدلون خلق الله ، فيلبس الامرد لحية بيضاء ، أو زرقاء . وتتخذ الفتاة لوجهها من سود البراقع ما تشاء : وما ضر الفتى والفتاة ان تحجب من وجهيهما آثار الجمال . مادام الخصر على الخصر . والساق على الساق !

ولو كنت معنا هناك لفزت فوزا عظيما . فقد حشرت فى تلك البقعة فنون الملاحة وألوان الفتون . كما تحشر ضروب السحر فى الطرف الغضيض !!

وكان (عفريت الليل) يوصيني بوصف تلك الليلة قبل أن تعزب عن البال ! رويدك ياصاح ! وكيف تنسى ليلة هى أنموذج لنعيم الجنة دار الخلود ! وهل أنسى انى ما نظرت أمامى أو عن يمينى أو عن شمالى الا رأيت الحسن منثورا نثر النجوم الزهراء ، فى القبة الزرقاء ، أو نثر الزهور البيضاء فى الروضة الغناء ؟

لما مشين بذى الاراك تشابهت اعطاف قضبان به وقدود
فى حلتى حبر وروض فالتقى وشيان وشى ربى ووشى برود
وسفرن فامتلأت عيون راقها وردان ورد جنى وورد خدود
وضحكن فاعترف الاقاحى عن ندى غض وسلسال الرضاب برود

ولحظة واحدة ، فى تلك الجنة العالية ، تنسيك الدين والاخلاق . ويكذب ثم يكذب من يزعم انه لم يحسد أولئك الذين أنعم الله عليهم فخاصروا من يعشقون . على مسمع من الرقيب . ومرأى من الحسود !

ألا ليقل من شاء ماشاء انما يلام الفتى فيما استطاع من الامر

ولم يكن الحسن فى ذلك المرقص قاصرا على الراقصات . فقد كان الفندق يموج موجا بالرائحات الغاديات :

من كل ضاحكة الترائب أرهفت ارهاف خوط البانة المياس
فاذا مشت تركت بقلبك ضعف ما بحليها من كثرة الوسواس

وما زلت احدق عينى فى كل رائحة وغادية . حتى تالمت عيناى . فكأنما أطالع ذكاء . فى كبد السماء . وكنت كلما بهرتنى الثغور الضواحك وأسرتنى العيون الفواتك . افكر فى جناية الجمال . على عشاق الجمال وعلى أهل الجمال . ثم افكر فى فضل الجمال . على أعداء الجمال : ففى العالم مئات

الالوف من القسيسين والرهبان والعلماء تصرف عليهم المرتبات لأنهم يلقون الخطب الرنانة فى ذم الجمال . وأهل الجمال . وعشاق الجمال !!

مر بخاطرى ذلك وأنا فى فندق الهيليوبوليس . فعرفت انه كلما وجدت الرذيلة . وجد موجب للدعوة الى الفضيلة . ووجد الوعاظ ماياكلون . ثم استسلمت الى التفكير العميق !!

والآن فى الساعة الثانية بعد نصف الليل . وقد مضى على تلك الليلة ست ليال . أفكر من جديد فى جناية الجمال . على عشاق الجمال . وعلى أهل الجمال . ثم أطيل التفكير فى فضل الجمال . على اعداء الجمال !!

تعرض رسل الشوق والركب هاجد ... فتوقظنى من بين نوامهم وحدى
وما شرب العشاق إلا بقيتي ... ولا وردوا فى الحب الا على وردى

تعلة الكريم

وصحب من البيض الثياب تطلبوا ... ودادى فلم يهمم بطردهمو مجدى
منحتهمو ودى ، فلما تملكوا .. ... فؤادى ، هفوا هفو الذباب على الشهد
فما تركوا وفرا لدى لمعتف ... يصان به عرضى ، ويورى به زندى
فلما تولوا بالتليد وأبصروا ... فتى الجود مثل السيف سل من الغمد
أباحوا حمى لايقبل الضيم ربه ... وتخشاه يوم الروع صائلة الأسد
لعمرى لئن ولوا بوفرى فاغتدوا ... بطانا ، وخانوا من سفاهتهم عهدى
لقد خدعوا شهما يغر على الندى ... فيسخو بلا من ويعطى بلا وعد

دواعى الشعر

— ١ —

أيها السادة :

إن القمر الزاهر الذى يغازل الشعراء كما يغازلونه ، والبحر الزاخر الذى يعجب الادباء بأمواجه المتلاطمة ، كما يعجب بأفكارهم المعجزة ، والروض الضاحك الذى يبسم الكتاب لازهاره الشائقة كما يبسم لكلماتهم لمتناسقة ، تلك الظواهر الطبيعية التى تبعث على الشعر . وتدعو إليه . هى هى فى كل قطر . وفى عينى كل كاتب . وفؤاد كل شاعر : وذلك ما أوجد التشابه فى خيالات الشعراء . وأفكار الكتاب . وجعل الفرق غير بعيد بين قديم الشعر وحديثه . وطارف النثر وتليده : فاذا قال قائل ان العقل البشرى سائر نحو الارتقاء فى كل سبيل الا من حيث الخيال الشعرى . فاعلم أن ذلك ليس لعجز فى القوى البشرية . أو تقصير من الشعراء أنفسهم . انما كان ذلك لان دواعى الشعر خلقت مع الانسان يوم خلقه، بل قبل أن يخلق بأجيال . فلا بدع اذاً أن يظل أمرؤ القيس شاعر العرب وهو ميروس شاعر اليونان . وان طال العهد وبعد الامد ولا كذلك ماعدا الشعر من الفنون والصناعات. فان موجباتها خلقت مع الحوادث شيئاً فشيئاً : ولا تزال . فليس عجيبا بعدئذ أن يقف الشعر أو يسير سيراً هادئا فى حين أن باقى الفنون تسابق الظل . وتجارى الريح فى السير نحو الكمال.

تلك أيها السادة : علالة المتعلل وحجة الضعيف المغلوب . وكيف تكون دواعى الشعر بالأمس هى نفسها دواعيه اليوم ؟ نعم ان السماء مازالت كهيئتها يوم خلق الله السماوات والارض . وان البحار مازالت زاخرة عجاجة على نحو من العظمة والجلال . يتشابه أوله مع آخره . وإن الرياض مازالت تلبس فى الحاضر . أثوابها فى الماضى ولكن هل ينبغى أن يكون شاعر اليوم كشاعر الامس ؟ كلا والله فان الناس من قبل كانوا ينظرون الى السماء من بعد . فاصبحوا يتبينون خفاياها بالمراصد . وكانوا يعجبون بالبحر وهم وقوف على شاطئه. فاصبحوا اليوم يخوضون أحشاءه ويسبرون أغواره . وكانوا ينعمون بالرياض . وهى حسناء مهلهلة الثياب . فأصبحوا يلهون بها عذراء غضة .

(تأود تحت الحلى فى الحلل الخضر)

فهل يليق بشاعر بعد ذلك . أن يقنع بما يمده به خاطره من المعانى القديمة . والخواطر العهيدة ؟ هذا والله ضعف وانحطاط

فلا تكثروا ذكر الزمان الذى مضى　　فذلك عصر قد تقضى، وذا عصر

وما أشبه حالنا مع من تقدمنا من الشعراء . الا بشاعر عاشق . رأى فى النوم طيف حبيبه فاصبح وقد ملأ الدنيا غزلا ونسيبا، فلما أتيح له أن يراه رأى العين أفحم ؛ وكذلك رأى أسلافنا ظواهر الطبيعة، فقالوا وأبدعوا ، ووقفنا نحن على حقيقة الكون وأسرار الوجود ، ولكن لم نشعر كأن لم نشعر !

وقد وجدت مكان القول ذا سعة　　فان وجدت لسانا قائلا فقل

الا أنه اذا كانت تلك الظواهر الطبيعية هى الينبوع الاول الذى

تتفجر منه الخيالات الشعرية ، والمعانى الادبية فان الشاعرية تزداد بالنظر فيما ترك الشعراء والكتاب من بديع الشعر ، وطريف النثر فان فيما ترك أولئك الكرام الكاتبون ، لجنات وأنهارا وشموسا وأقمارا ، توحى الى المرء من ساحر الخيال ، وفاتن القول ، ما تعجز عن مثله الانهار الجارية ، والرياض الحالية والسماء الصافية ! ! واذا عرفنا حاجتنا الى النظر فيما ترك الشعراء والكتاب فلابد أن نعرف أيضا أن ذلك لايختص بأمة دون أمة ، أو إقليم دون إقليم .

وان الذى يريد أن يتكمل فى الشعر والأدب فلابد أن ينظر فيما ترك الادباء فى مشارق الارض ومغاربها . من الآثار الأدبية . والطرائق العلمية . اذ كما لايمكن للرجل الواحد أن يخترع علما ثم يكون أول الناس وآخرهم فيه . فكذلك لايمكن لأمة واحدة أن تقوم بحاجة البشر فى فن من الفنون ولاسيما فى الآداب التى هي خلاصة الافكار ونتيجة الخواطر . لذلك رأى رجال الجامعة المصرية . وهم من نعرف فى بعد النظر . واصالة الرأى أن تدرس آداب اللغة الانجليزية والفرنسوية . بجانب آداب اللغة العربية . فكان ذلك فضلا الى فضل . وأدبا الى أدب : : واذا لاحظنا أن أدباء الانجليز من أحرص الناس على العلم والأدب وأعلمهم بلغات الامم وآدابهم . وأشدهم عناية بتقييد الاوابد . وضم الشوارد . وأكثرهم ضربا فى الارض . وسيراً فى الاقطار . وأكثرهم تعرفا لأحوال الناس على اختلاف طبقاتهم وتباين اشكالهم . اذا لاحظنا كل ذلك عرفنا أن آداب اللغة الانجليزية انما هى خلاصة آداب الامم . اذ كانت نتيجة التجارب العديدة . والمشاهدات المختلفة . فى أكثر بقاع الارض . وأغلب أنحاء

المعمورة . وكذلك يكون العارف بآداب هذه اللغة عارفا بآداب أمم عدة لا أمة واحدة : : واذا لاحظنا أيضا أن آداب اللغة العربية انما هى آداب أمم مختلفة جمعها الدين وألف بينها الأسلام كما أن آداب اللغة الانجليزية آداب أمم شتى عرفنا أن العارف بآداب اللغتين العربية والانجليزية من أغزر الناس مادة فى الادب وأرسخهم قدما فى عالم الشعر . فهنيئا لاخواننا الذين تمكنوا من آداب لغتهم العربية . ثم تكملوا بآداب اللغة الانجليزية فشربوا من الكاسين . وتحلوا بالفضيلتين . والسلام

— ٢ —

ألقيت خطبة فى فندق شبرد تكريما للمستر ورتهام استاذ آداب اللغة الانجليزية ، فى الجامعة المصرية ، رددت فيها على القائلين بوقوف الحركة الشعرية ، لوجود الدواعى متماثلة متشابهة فى كل العصور ، ووازنت بين دواعى الشعر بالأمس ودواعيه اليوم ، وأنحيت باللائمة على الشعراء الجامدين ، الذين لايزالون يترسمون خطوات من سبق ، وهم عن الجد معرضون

غير أنى نظرت الى تلك الدواعى من الوجهة الطريفة ، فجعلتها فى الرياض الزاهرة ، والبحار الزاخرة ، وفى البدور الطوالع ، والشموس السواطع . وأضفت الى ذلك مايكتسبه الفكر من النظر فى الآداب الاجنبية التى قد تزيد أدبنا وضوحا وبيانا ، اذا عرفنا أن الناس من نفس واحدة ، وأنهم يسعون الى غرض واحد : وهو فهم حقيقة الكون والثناء على الله

واليوم أقول : ان تلك الدواعى السالفة انما هى لقوم بلغوا من الحضارة والرقى ، مايسمح لهم بالتفكير فى الجمال ، والتفنن فى وصف

غرائبه : من الظباء النوافر ، والحسان الأوانس ، ورأوا من قومهم نفوسا عاشقة لطرائف الحسن ، وقلوبا تائقة لبدائع الشعر : فقالوا فى وصف الرياض والازهار والبحار والانهار ، والقصور المشيدة ، والصروح الممردة ، وخاطبوا النفوس الناعمة ، والقلوب الوادعة ، وانتقلوا من عالم الحس الى عالم الخيال ، فوصفوا أحلامهم اللذيذة ، وآمالهم الحلوة ، الى غير ذلك مما يجد فى قلوب أهل السعة ، ونفوس أهل الرغد ، ميدانا يمرح فيه ، وروضا يأنس به ، وكذلك نفوس الشعراء ، فى أيام الرخاء

أما دواعى الشعر فى هذا البلد ، وفى هذه الايام ، فهى غير أسبابه تلك ، لما ترى من الفرق الظاهر بين عامتنا وخاصتنا ، وقلما يتغنى الخاصة بالشعر ، ان لم تصغ العامة اليهم ، ويفتحوا لهم آذانهم وقلوبهم

وهل يطرب الناس للشعر وهو يصف مالا يحسون به ، ويتحدث عما لم يستطيعوا اليه السبيل ! !

ولقد كان عجبا عند الشاعر حافظ ابراهيم أن يجيد العرب وصف الناقة وهى تلك المركب الصعب ، ولا نجيد نحن وصف ذلك المركب الذلول (الاوتومبيل) ولو لحظ أن الشاعر العربى ما أطنب فى وصف الناقة الا لانها كل شىء عنده ، ولأن أهله ورفاقه يعرفون من صفتها ما يعرف لعلم أن السر فى عجزنا عن وصف الاتومبيل ، ليس هو ضيق اللغة كما زعم ، بل لاننا ننظر الى هذه المخترعات فى الارض كأننا ننظر الى الشمس فى السماء .

مالنا ووصف هذه البدائع الفتانة ، والنفائس الخلابة ، ونحن لا ننعم بها ، ولا شىء فيها من صنع ايدينا ؟ اذن فنترك وصفها وتقريظها لشعراء الغرب

أولئك الذين يجدون من السرور بركوبها ما كان يجده العربى وقد علا ظهر البعير البازل ، أو تسنم الناقة الهوجاء .

وقد كان استاذنا الشيخ محمد المهدى يقول وهو يتحدث عما أبدع الشعراء فى وصف الشمعة : لا أدرى ما كانت تكون حالهم لوشاهدوا غرائب هذه الايام ؟ انى لا أشك فى أنهم كانوا يجيدون .

وليسمح لى أستاذى أن أقول له انهم لو عاشوا الى عصرنا لعجزوا عجزنا . فان الامر كما قيل :

فلو أن قومى أنطقتنى رماحهم نطقت ، ولكن الرماح أجرت

وكما قال ابن الزيات :

لك أن تبدى لنا حسنا ولنا أن نعمل الحدقا

فان قومنا لم يفكروا فى مجاراة الامم المولعة بأعاجيب الصناعة حتى نجاريهم فى أفانين البلاغة

وانا لجديرون بأن ننشط الى الافتنان والابتداع ، إن نشطوا الى الابتكار والاختراع ، والا فليلوموا أنفسهم ان كانوا منصفين

— ٣ —

قل لى بربك ، ما أنت صانع لو زرت الأهرام ، وكنت ممن رزقوا الشعر الفصيح ، والخيال البديع : اتغرب فى وصفها بالوسامة الشاملة ، والقسامة الكاملة ، وتتغنى بارتفاعها الباهر ، واتساعها النادر . فتسلك سبيل الفاهمين من اهل مصر القديمة . والغافلين من أهل مصر الحديثة . ام أنت سالك غير تلك السبيل . وخائض فى غير ذاك الحديث ؟؟

مازلت أسمع الشعراء من حولى يتغنون بالحضارة القديمة . ويشيدون

بذكر الفراعنة ، ويلهجون بمجد العرب ، كأن مصر مازالت سيدة العالم وكأن رجالها ما زالوا خير الرجال ، وكأن العرب مازالوا سادة المشرقين وقادة المغربين ! قاتلكم الله ! تضحكون فى موضع البكاء ، وتفرحون فى موقف الحزن ، ولو كانت لكم ضمائر شاعرة وبصائر ناظرة ، لبكيتم مع الباكين ، ونحتم مع النائحين ، فقد ذلت هذه الآثار بذلكم وضعفت بضعفكم ، وأضحى هرم خوفوا

كأن الصبا نوفى نذور اذا انبرت　　تراوحه أذيالها وتباكره

لقد كثر شعراء مصر ، وتوفروا على معنى واحد ، كما تكثر الاشجار فى بقعة واحدة ، فيأكل بعضها بعضا ثم لا تزهر ولا تثمر !

وقصارى أحدهم أن يفتخر بأنه مصرى أو عربى ، يريد انه من بقايا الفراعنة . أو من سلالة الاقيال .

أهؤلاء الجبناء ، الذين يخافون ظلهم ، ويهابون طيفهم ، من ذرية أولئك الذين أخضعوا الارض وهموا بمحاولة السماء فحاربوا الناس تارة ، ونازعوا الآلهة أخرى ؟

أهؤلاء من سلالة ذلك الذى قال : ياهامان ! ابن لى صرحا ، لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات فاطلع الى إله موسى ؟

تعالى الله فى سمائه ! ! وكفر فرعون وهامان ! ولكن أليس من العجب أن ينتسب هؤلاء الاصاغر الى أولئك الاكابر وهم أذل من قراد بمنسم . وأضيع من الايتام على مائدة اللئام ؟ !

ولقد يذكرون أن المأمون قال لوزرائه يوم زار اهرام مصر : انها مبان جليلة . ومنازل شامخة . ولكنها لا تستحق أن يحاول صاحبها السماء

لينازع الاله . فقال له بعضهم : يا أمير المؤمنين. ان الله يقول : (ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون)

فاذا كانت هذه بقايا مادمر ، فكيف كانت تلك العروش ؟ فبهت المأمون وسكت

يقولون ان الولد سر أبيه. فما بال أبناء النيل فى ذلة . وأحفاد العرب فى ضعة ؟

أيستطيع أحد من شعرائنا الآن أن يقول كما قال قيس بن الحطيم

وكنت امرءاً لا أسمع الدهر سبة أسب بها إلا كشفت غطاءها
فانى فى الحرب الضروس موكل باقدام نفس ما أريد بقاءها
متى يأت هذا الموت لا تلف حاجة لنفسى الا قد قضيت قضاءها

اذن فكيف يجرؤ هؤلاء أن ينتسبوا الى العرب . أو ينتموا الى الفراعنة . وهم ما يحسنون غير التهنئة بمولود . أو التعزية بمفقود . كأنهم ما خلقوا الا ليبكوا مع الباكين أو يضحكوا مع الضاحكين ؟ ؟

أين شعراء الوطنية ؟! أين عشاق الحرية ؟ !

فهذا أوان الشعر سلت سهامه معا بلها والمرهفات السلاجم

لقد مات منهم من مات ، واغترب من اغترب ، وبقى جماعة يقلون عند الفزع ، ويكثرون عند الطمع

رضوا بصفات ما عدموه جهلا وحسن القول من حسن الفعال

— ٤ —

يكتب صاحب العزة على بك فهمى كامل مقالات شيقة تحت عنوان « لو كنا مستقلين » جاء فى أولها قوله : « لو كنا مستقلين لعم العلم الديار،

وراجت الصناعة فى كل الأمصار ، وحل اليسر محل البوار ، وأصبح المصرى فى كل مكان ، يشار اليه بأطراف البنان »

وأنا أضيف الى كلماته الجملة الآتية : لو كنا مستقلين لكثر شعراء الحماسة ، وقل شعراء الخلاعة ، ولعادت للشعر مواقفه المشهودة ، ومشاهده المعروفة ، يوم كان بيت يبعث الحرب ، وقصيدة ترجع السلام !

ويقول الكاتب مصطفى المنفلوطى فى مقدمة مختاراته : (وأحسب أن مايتعلق من الشعر بالحماسة ووصف الحروب وأسلحتها ودمائها وغبارها وأشلائها هو آخر مايحتاج اليه المتأدب فى هذا العصر) ؛

ومعنى ذلك ان عصر البطولة قد مات ، وزمن الرجولة قد باد ، ولم يبق الآن يلبس الشعراء ، أثواب الندماء ، فيقضون الليل فى خمر ، والنهار فى خمار .

ولست ألوم المنفلوطى على ان جعل مختاراته خلوا من الحماسة ، ولا أعذل الشعراء على مافرطوا فى جنب البطولة فان ذلك نتيجة الاستعباد ، وعاقبة الاسترقاق

وكيف يتوفر على الشعر الحماسى شعب يرى أنه غير مكاف بالدفع عن بلاده ، والذود عن حياضه ، أم كيف يتمدح بالشجاعة من يوصف بالطيش ان أقدم ، وبالحزم ان أحجم ؟

واقد كثرت أحاديث الناس عن فتوى الشيخ بخيت ضد البلشفيه ، وفاتهم ان هذا أثر من آثار التبتل الذى جنته علينا الذلة ، ورمانا به الهوان

والذى يتأمل ما كان من فتوى الشيخ يعلم أنه تأثر بالحكمة القائلة : إن العاقل لايرضى لنفسه الا أن يكون مع الملوك مكرما أو مع الزهاد

متنسكا . وأنه رضى لنفسه حظ ديوجين الكلبي

ولقد ساءه أن ينفرد الحلفاء بمحاربة البلشفية ، وأن لا يكون لمصر حظ فى دفع هذا البلاء ، فرمى بفتواه فى صدر هذا المذهب الجديد ، ليعود وهو صريع

والذى نعرفه من قوة فتاوى الأستاذ ، ومن حججه الدامغة ، أن تلك الفتوى كانت جديرة بمحو البلشفية ، لو أنها صادفت قلوبا كقلوب المصريين الذين يبجلون الشيخ ويعظمونه ، ولكنها نشرت بين قوم ينكرون مصر وعلماء مصر ، ويعدونهم من سقط المتاع

وانى لاخشى أن يصبح علماؤنا ومايعرفون غير السبحة والسواك

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن اساءة أهل السوء احسانا
كأن ربك لم يخلق لخشيته سواهم من جميع الناس انسانا

كما أخشى أن يصبح شعراؤنا ومايحسنون غير الهزل ، ولايجيدون سوى المجون

— ٥ —

فى مصر اليوم جماعة من الشعراء ، تغنوا كثيراً فى الليالى الخوالى ، يوم كان الناس يسمرون فى المنازل ، ويسهرون فى البيوت ، وكان الرجل يعرف بالشعر ، ويوصف بالأدب ، لبيت يقوله فى تحية رب القصر . أوتكريم السامرين ، وربما وصف بالعبقرية لطرفة ينسبها الى دعبل ، أوحديث ينقله عن أبى نواس

ثم قضى الله أن يرسل الى بعض القلوب رسول الوطنية فانتقل الشعر من الخصوصيات الى العموميات ، الا أن الشعراء كانوا مع ذلك مقيدين

بقيود من الرياء . فكان حافظ ابراهيم لا يطرب للشعر ، ولا يخف له الا بحضرة الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده . وكان أحمد نسيم يمزج وطنياته بمدح محمد بك هلال ، وكان شوقى يشوبها بمدح صاحب السمو أمير البلاد ، وكنت لا تسمع للشعراء شيئا غير ما يدعون اليه يوم الاحتفال بفتح مدرسة ، أو تشييد معهد . (أو فتح بار كما فعل فلان) الى غير ذلك مما يساق اليه الشعراء سوقا . بدافع الشهرة . أو دافع المال

وكانت الاحزاب قد كثرت فى مصر . فكان لكل حزب شاعر ولكل شاعر أشياع . فتنافرت الآراء وتناكرت الاهواء . اذ كان الشعراء يستمدون وحيهم من سادتهم وكبرائهم . وكان سادتهم منشقين مختلفين . فكانوا يضلونهم سواء السبيل

ثم شب جماعة آخرون لم يقدر لهم أن ينتموا الى بعض الاحزاب ، فرضوا بالخمول ، واكتفوا من الشعر بأبيات يقولونها فى الوصف ، أو نتف يجيدونها فى النسيب ، وربما التفتوا الى ماينعم به اخوانهم من السعة فى العيش ، والبسطة فى الجاه ، فأخذوا فى شكوى الدهر ، وتأنيب الزمن ووصفوا الأدب بأنه رفيق الفقر ، وحليف المسكنة ، وكان بجانب هؤلاء جميعا جماعة من النقاد ينقدون اللفظ والمعنى ويعرضون عن النحلة والمذهب ، فكنت تقرأ مايكتبه الشيخ طه حسين فى نقد حافظ : فتراه جملة من المذاهب النحوية ، والمباحث اللغوية ، وربما رأيت طائفة من ألفاظ السباب ، فى خلال تلك السطور ، وضعها الكاتب حلية لبحثه ، وزينة لنقده . وكان الويل كل الويل لمن يغفل عن ترضية أولئك الناقدين فيمسى وهو مقذوف

وكذلك كان الشعراء يأخذون طرائق التفكير من الاحزاب ومسالك

التعبير عن النقاد ! ولم يكونوا فى أنفسهم شيئا مذكورا

ثم كان ما كان من الحوادث التى شتتت شمل الجميع . فخفت كثير من أصوات أهل النقد والسياسة وعاد الشعراء الى السكون

الا اننا فى حاجة الى شعراء ينظرون بعيونهم ، ويسمعون بآذانهم ويفقهون بقلوبهم ، فهل نحن واجدون ؟

— ٦ —

قرأنا (دواعى الشعر) فاذا بصاحبها الاستاذ زكى مبارك قد نال من شعراء العصر شديدا ، وطأطأ من كرامتهم ما شاء . حتى كاد يبتعث الحفائظ ويوغر القلوب . فقد جاء فيها من الشعراء حيث يهتف بهم قوله : « قاتلكم الله ! تضحكون فى موضع البكاء . وتفرحون فى موقف الحزن . ولو كانت لكم ضمائر شاعرة . وبصائر ناظرة لبكيتم مع الباكين . ونحتم مع النائحين . فقد ذلت هذه الآثار بذلكم . وضعفت بضعفكم »

وجاء فى موضع ثان منها قوله : « لقد كثر شعراء مصر . وتوفروا علي معنى واحد . كما تكثر الاشجار فى بقعة واحدة فيأكل بعضها بعضا . ثم لا تزهر ولا تثمر ، وقال فى غير هذين الموضوعين : « أهؤلاء الجبناء » وجاء فى محل ثان قوله « لقد مات منهم من مات . واغترب من اغترب . وبقى جماعة يقلون عند الفزع ويكثرون عند الطمع »

لشد ما نال الاستاذ من الشعراء . وغلا فى الازدراء بهم ، على ان هذا ليس من النقد فى شيء

انا لنطالب الاستاذ جد المطالبة . ونأخذه أخذا شديدا بأن يخرج بالمعذرة من تلك البادرة . وذلك اكبر الظن بأدبه ، والعهد به والسلام

حسن القاياتى

— ٧ —

قرأت ما كتبه الاستاذ السيد حسن القاياتى عن (دواعى الشعر) فحمدت له غيرته على اخوانه الشعراء، ورفقائه الادباء. وسرنى ان كان أول الذائدين عن حياضهم. والرافعين للوائهم. فكان كما قال الشاعر :

لو كان فى الالف منا واحد فدعوا من فارس؟ خالهم أياه يعنونا

ثم عجبت وحق لى أن أعجب. من رغبته فى أن أعتذر وهل أذنبت ياصاح؟

ألزمتنى الذنب الذى جئته صدقت! فاصفح أيها المذنب

لاتنس ياصديقي أن كرامة الوطن. فوق كرامة الأدب. وان الشعر وسيلة لاغاية. واننا جميعا نسعى الى غرض واحد هو تحرير البلاد فمن كان أكثر الناس إشادة بذكر الحرية وتغنيا بالاستقلال فهو شاعرنا المفلق. وكاتبنا المبدع. وان كان شعره منحل العقد. ونثره مختل البناء.

أنت شاعر. ولكن فى أى عصر؟ فى العصر الذى قلت فيه :

كأن وساما يعتلى صدر جاهل جنى من الريحان يحمله قبر

وحافظ شاعر. ولكن فى أى زمن؟ فى الزمن الذى قال فيه :

لقد كان فينا الظلم فوضى فهذبت حواشيه حتى بات ظلما منظما

كنتم شعراء يوم كانت قصائدكم تهيم فى كل واد ومعانيكم تدب فى كل قلب. ويوم كان الطلاب فى مدارسهم والعمال فى مصانعهم يشيدون بذكركم النابه ويتغنون بشعركم الجميل

فأما اليوم وقد جنحتم الى السكون وركنتم الى الهدوء وهجعت

منكم تلك البراكين الثائرة وتوارت تلك الشموس الباهرة وأخليتم الميدان لكل مجر بالخلاء ومستأسد بالعراء ثم طويتم اللواء وفررتم من الهيجاء فانا ننسا كم كما نسيتم لقاء يومكم هذا وكما تركتم الأدعياء يصدعون الرؤوس ويزهقون النفوس يغتصبون الشهرة اغتصابا ويستلبون المجد استلابا كأن ليست للنقد عين ساهرة وكأنكم لا تسمعون

نامت نواطير مصر عن ثعالبها فقد بشمن وما تفنى العناقيد

يجب أن تعتذر أنت ياصديقي وأن يستغفر اخوانك فقد فرطتم فى جنب الوطن ونسيتم حق البلاد

أين الشعراء ؟ أين الأدباء ؟ انى والله

أودهم وداً اذا خامر الحشا أضاء على الأضلاع والليل دامس

ولكن ماالعمل ؟ والدهر عابس والوقت عصيب ويكاد المرء ينسى أباه ان خذله ويهجر أخاه ان خلاه فهل بقى فى قوس الصبر منزع أو عادت للرجاء بقية وهذا البلاء يتطاير من كل جانب والأمل ينهار فى كل واد ؟؟!!

ياصديقى ان شموخ الاهرام وجلال النيل وجمال مصر وما الى ذلك من المعانى التى أوحت اليك والى اخوانك الشعر تتطلع اليكم بعين كلها أمل وقلب ملؤه الرجاء فهل فيكم اليوم من مسعد أوهل لديكم من معين ؟؟ واحر قلباه !!

— ٨ —

عاتبنا الاستاذ زكى مبارك على نبوة كانت منه الى الشعراء ، وهنات اعتمدهم بها فى مقاله «دواعي الشعر» : وأخذناه بان ينزل على حكم الحق من بذل المعذرة ، واعطاء النصف من نفسه . فأعتبنا فى الافكار بكلمة

جافية حديدة كأنها الكأس الأولى . لولا مايلطفها به من مزاج التودد والا زدلاف الى ناحية من المرضاة . فسامحنا فيما أوحش منها لما آنس . واغتفرنا ما أحفظ لما أرضى . فكانت كأسا شربناها على قذاتها . وعتبى صديق تقبلناها على علاتها . فلم نكد نقول : آها منه !. حتى قلنا :واهاله!

ومن لك يوما بأخيك كله !

لاذ الاستاذ منا بالوطن . فذكر بحقوقه . وأرى من نفسه بحق أن غضبته للوطن كانت . ومحاماته ونضحه انما كانا حمية له . وأنه زرى على الشعراء لتفريطهم فى جانبه . ونومهم عنه فيما يقول :

مهلا قليلا أيها المذكر بالوطن وحقه . فما ذكرت ناسيا . ولا نبهت غافلا . ان بنا من الوجد على ذلك الوطن والحدب عليه . مثل مابك غلة تحرق . وجوى يؤرق

وتلك طريق لست فيها بأوحد

ذلك حق كله . ولكنك تعلم أننا قد غشيتنا غاشية . ودهمتنا حال تركت افصاحنا فى التوجع . وبياننا فى التفجع . كبيان الطير تهفو الى وطن وحنين الإبل تغدو الى عطن

: شجو حزين .ومنطق لايبين

بنفسى وأهلى من اذا عرضوا له ببعض الأذى لم يدر كيف يجيب

شاهدى على ذلك مقالك أنت . ألست القائل آنفا . ؟ « ولكن ماالعمل والدهر عابس . والوقت عصيب »

على أن أحدنا لايزال يرفع صوته فى الفينه بعد الفينه . بالكلمة كأنها دمعة يتيم . وعبرة مجهور . ينطق بها لحنا . ويرسلها فى حذار ورقبة . ثم

يجس على أثرها رأسه . هل طار عن جسده ؟

: أترى نعيش الى انطلاق الالسن ؟

ما بالك أيها الاستاذ تشركنا فى العمل و تفردنا بالتعجب . كما يقولون

: وتلك شكاة ظاهر عنك عارها :

ان لك بيـانا ولسانا . فأين الذى لهما من أثر فى هـذه الآونة ؟ ان قلت وقلنا . وان سكت سكتنا . وليس بنا أن نجحد فضلك

لقد هجت عجبا وأحدثت طربا حيث تقول «فمن كان اكثر الناس اشادة بذكر الحرية . وتغنيا بالاستقلال . فهو شاعرنا المفلق ، وكاتبنا المبدع وان كان شعره منحل العقد و نثره مختل البناء »

ان للغربان والضفادع أوطانا . وفى الحق أن يذود كل ذى وطن عن وطنه . بيد أنه ليس بحسن ولا جميل نعيب الغربان و نقيق الضفادع !! أكل صائحة تطربك أيها الاستاذ ؟ رويدا لا يسمعك الادعياء والمتشاعرون . فتملأها علينا نعيبا و نقيقا ! لا والله لا يحسن الذياد عن الوطن ولا النضح عنه حتى يكون قولا عليه مسحة السحر و له أخذ كاخذ النفث فى العقد ينزل على حكمه العصى و يصحب الجموح ! أين أنت من البلابل المغردة والطيور الساجعة . أمثال كتاب الافكار ولا أمثال لهم ؟ !

عد عن ذا ، كما يقول الشعراء ، وتعال الى حديث بشاشة واحسان ، بعد حديث عتب واعتاب : لقد علمت أن جريدة الافكار أندى الجرائد صوتا بالحق ، وأرحبها صدرا للحرية ، فبعثت اليها بكلمة طريفة فى سبيل الوطن وأكبر ظنى أن رئيس تحريرها النبيل متفضل بنشرها . فان نشرت فلن تمترى ، ان كنت من الممترين ، فى أن الشعراء يفون لوطنهم بعض الوفاء وان

لهم قلوبا ترعى كرامة الوطن ، وكرامة الادب، ولعلك تقول مكان : واحر قلباه ! ، واطرباه ! والسلام

حسن القاياتى

— ٩ —

لقد سبقت كلمتنا فى إعتاب السيد حسن القاياتى . وكنا حسبناه أكبر ما شرحناه . اجلالا للوطنية . وأحمد ما كتبناه . اعظاما للحرية فاذا به يدأب فى العتب . ويصر على المحاسبة . كأن ليس لنا عنده من عذر وكأن الشعراء ليسوا بخاطئين

أراد السيد حسن أن يعتذر عن اخوانه الشعراء . وأن يغسل عنهم عار الكسل والخمول . فذكر من عنت الدهر . وريب الزمن . ماظنه شافعا فى سكوتهم . مبررا لجمودهم . كان فى ضم الفكرة الى مثلها . ووضع البيت بجانب البيت. شيئا من التجمهر يأباه القانون. ونوعا من المظاهرة تحاربه السلطة. وكأن القصيدة ذات القوافى الكثيرة . والفكر العديدة شبيهة بالعصبة تجتمع فى طريق واحد . لغرض واحد. وكأن الشاعر الشاكى الخيال . شبيه بالثائر الشاكى السلاح

قد يكون الشعر الباهر . كالسيف القاهر . وقد تكون القصائد البارعة . كالقنابل الرادعة . وقد يتهيب جانب الشاعر ،فوق مايتهيب جانب الفارس . فيكون من كل هذا عذر لاخواننا الشعراء ورفقائنا الادباء . ويكون سكوتهم من الجبن أبعد . والى الحزم أقرب

ولكن الا يحب صديقى السيد حسن أن يكون لعصرنا من طريف الاستعارات . وحديث المجازات . ما يرفع ذكرنا فى الاواخر . ويلحقنا بالأوائل ممن لبسوا لكل حالة لبوسها فصرحوا تارة . ولمحوا أخرى .

ونالوا بالمثل الخرافى . مالم ينالوا بالشعر الحماسى . أفكانوا بقومهم ناهضين . لأعدائهم قاتلين ؟

فهبنى اعتذرت عما نسبت اليهم من الجبن . ورجعت عما وصفتهم به من الخوف . أترانى لا أنعتهم بضيق الحيلة . وضعف الوسيلة . وأنهم لا يعرفون من القول الا أظهره . ومن الشعر الا أشهره . وأن مقاتلهم بادية . ومطاعنهم ظاهرة . حتى لا سلامة لحياتهم . الا بسكوتهم . ولا داعى لحتفهم . غير نطقهم

ضفادع فى ظلماء ليل تجاوبت　　　فدل عليها صوتها حية النهر

لعلك يا صديقى تذكر ما فعل الأعرابى الأسير . ولعلك تذكر ما أرسل الرجل مع عبديه . الى طفلتيه . وما قال القبعثرى للحجاج . وما أجاب به عبد المسيح خالد بن الوليد . ثم لعلك ولعلك . .

أتريد يا صديقى أن لا تكون لنا شخصية معروفة ، وأن لا يعثر القارئ فى الآداب العربية على طرفة أبدعناها . أو بدعة أحدثناها . كأن القول لا يخرج من التصريح . الى التلميح . وكأن الزمن لم يلجئنا الى الأشارة بعد العبارة . أو كأننا لا نعرف مقامات الكلام . ومقتضيات الخصام .

لك يا صديقى أن تعتذر عن اخوانك . وعلى أن أشكر لك هذه الغيرة . ولكن حذار أن تظن أنا عملنا كل ما يمكن . وفعلنا كل ما يستطاع .

ولقد عجبت من قولك (ان لك بيانا ولسانا . فان قلت قلنا . وان سكت سكتنا) كأنك تحسبنى ألومكم ولا ألوم نفسى

الا فلتعلم وليعلم اخوانك. أن التبعة واقعة على وعليكم. واننا جميعاً فى جنب الوطن مفرطون، ولمجد النيل ناسون

ما أنصفتك جفونى وهي دامية ولا وفى لك قلبى وهو يحترق

— ١٠ —

جن الظلام فما يزاح يا ويلتنا ! أين الصباح
ليل كان نجومه يطلعن فى كبدى جراح
يا من أتاح لى الأسى برد الفؤاد متى يتاح ؟
قلب أساه لاعج لو لا تحجبه لفاح
ما بال دمى يستباح وحاجتى ليست تباح ؟
ويلى على غيد المنى يحرجن فى صدر براح
لهفى على الحق الصراح يغوله ظلم صراح
حق أضيع مشهراً أبصرت صبحا حين لاح
كم موعد مثل الطلاء يزين وجنات القباح
لاتخدعن فما حديث القاسطين سوى مزاح
شيم البغايا منطق حلو - الى وجه وقاح
عهد السياسة كاذب لله درك يا سجاح
يا رحمتا للشرق ما يلقى من الداء المتاح
زأر ابن غيل فانثنى رقصا لنغمته وصاح
لذوى العدالة شرعة تقضى بعسف واجتياح
الحق فى حد السيوف وعند أطراف الرماح
كتمت شريعة (مدفع) خان (الرصاص) بها فباح

اهتف بحقك عاديا — وعلى عزيمتك النجاح
دون الحقوق ونيلها — أن يلتقي كبشا نطاح
وهنا لسائل حقه — الحق شيء يستباح
قد كان ركن مرة — للعدل مرفوعا فطاح
لي عند اهلي دعوة — ان المحب له اقتراح
ياأهل دعوة مشفق — لم يأل عن طلب الصلاح
المجد عند سراتكم — طو! اجتناب واطراح
حسب السري مقامه — ما بين غانية وراح
الثغر يبسم عن ذى — للثغر يبسم عن أقاح
غيد ملاح هجننا — مالي وللغيد الملاح؟
كم سوأة حين اغتدى — نيطت به أوحين راح
مال مباح كله — يشقى به عرض مباح
أين الملاجيء تبتني — غرا كعليها فساح؟
من لليتيم كانه — من ضعفه غصن يراح
أودى أبوه وأمه — فبكاهما دهرا وناح
شلو تناهبه الضنى — فكأنه نهب يباح
ان ذل تحت همومه — فبما يرى وله جماح
لم يجترح اثما فعـ — ـد وجوده منه اجتراح
ياليت كل معذب — يودي — اذا كان استراح
تقذى بمرآه العيو — ن فما تراه سوى التماح
كم مترف غصت به — عيناه أعرض أو أشاح

لاشى من حاجاته يقضى سوى الماء القراح
يعيي برد جوابه فتجيب أدمعه الفصاح
متساقط من هزله طير يهاض له جناح
دار البلاد ، دواوه لو يبذلون ، هو السماح
ياشرق جدا انه جد سيفضى للنجاح
ان ضاع حق فالجدى باق وعزمك والمراح
من يستميلك عن ندى من يزدهيك الى افتضاح؟
بيض النضار ضوامن المنجح عن بيض الصفاح
ذما لمال ذاهب فى القمر تذروه الرياح
النبل عند سراتنا كاس وغانية رداح
كافح يجد مغامر ان الحياة هي الكفاح
تلك الطيور سجينة ستروح مطلقة السراح

حسن القاياتى

— ١١ —

قد علم القراء ما كان لمقالاتنا ـ دواعى الشعر ـ من الاثر فى أنفس الشعراء . وقد قرأوا ما كتبه عنها بعض أدباء بورسعيد . وماخطه أدباء القاهرة . فضلا عما لم تنشره (ألأفكار) من الكلمات المتطرفة . والأقوال المتعمدة . من شعر أو نثر . ثم ما دار بينى وبين السيد حسن القاياتى من الاخذ والرد . وما كان من ارساله بتلك القصيدة الرشيقة التى يخيل الى أنها قدت من قد (احسان)

تكر فلا تزداد الا ملاحة اذا رازت الشعر الشفاه العزامل

علم القراء كل ذلك ، وعلموا اننا أسرفنا فى نقد الشعراء . وتأنيب الادباء . فكان حقا علينا أن نشيد بذكر من استجابوا الى مادعونا اليه . ونرفع من شأن من نهضوا الى ما حضضنا عليه . حبا فى الأدب أن يكثر الراغبون فى تشييد دعائمه . ورحمة للوطن أن يغفل الذائدون عن ذماره . والحامون لحقيقته

***

فمن ذلك ما أرسله الينا الاستاذ البارع سيد أفندى محمد مدير الكلية الاهلية وهى رواية شعرية . سماها الوطنية . كلها غرر ودرر . وطرائف ولطائف ، نود لو عنى بمثلها الشعراء ، وكلف بأشباهها الادباء ، فرحموا الشبيبة من الاغانى الهزلية، وعودهم على الاغانى الجدية واستغنوا عن الروايات الفرنسوية ، بالروايات المصرية ، فان ذلك للامة أنفع وأمتع ، وبها أولى وأجدر

فمما جاء فى تلك الرواية على لسان مصر الابيات الآتية :

أنا الوطن الاثيل المجد مصر ... أنا البلد المحبب فى البلاد
تناسى الدهر منزلتى وأنحى ... على ونال شعبى باضطهاد
فعونك رب فى الجلى فانى ... بعونك قوتى وبك اعتضادى
لقد أملت آمالا جساما ... وفى الآمال ترويح الفؤاد
فأوزعنى النهوض الى مكانى ... وخذ بيدى وألهمنى سدادى

***

ألست كنانة لك إن يسئنى ... مسئ فالبلاء لمن يعادى؟
فها أناذا منيت بمن أراهم ... تمادوا فى الاساءة والعناد
فعشت بهم على مضض زمانا ... كأنى بين أشواك القتاد

وذقت مرارة الاحزان حتى ... لبست بعهدهم ثوب الحداد
جزونى شرهم وهم ضيوف ... فكيف بهم اذا ملكوا قيادى

وأترك للقارئ الحكم على هـذا الشعر . وأجزم له أن فيما تركت خيرا مما ذكرت . ولعل صاحب هذه الرواية يتفضل بنشرها بين أفراد الأمة الكريمة . ويعمل على أن تمثل فى القرى والحواضر . فان ذلك من عزم الأمور

وكذلك أرسل الى صاحب الفضيلة السيد (ا . س) قصيدة ممتعه . يستنهض بها الهمم الفاترة . ويستحث العزائم الخائرة . نذكر للقراء بعض شذراتها النقية اعظاما لما للسيد صاحبها من غيرة على الوطن . واجلالا لما له من وفاء للبلاد .

فمنها قوله فى وصف أهل الشرق :

سبقتهم أمم تجد الى العلا ... فى الغرب لم يلحق بها اعياء
وهم اذا قرع العصا ذو مطمع ... ضربت عليهم ذلة وشقاء
أو كلما مستهم يد غاصب ... سقطوا. كذلك يفعل الجبناء
فكأنهم لم يسرفى أعراقهم ... من سابقيهم غيرة واباء
يترقبون سفاهة اسعادهم ... وهم ببذل نفوسهم بخلاء

ثم قال فى وصف الغافلين من أهل مصر :

وبمصر قوم ، يالمصر وأرضها ... منهم ! وهم ، زعموا ، لها ابناء !
لبسوا لها ثوب الصديق وربما ... قد كان خيرا منهم الاعداء
عبثت أكف الطامعين بها فلم ... تعبأ وترفع رأسها الرؤساء
أنهتهمو عن بر مصر عقولهم ؟ ... فليهن مصر أولئك العقلاء !

ما ان تفيد علومهم شيئا وهم ... بطريق حفظ كيانهم جهلاء
فالعلم حقا علم ما تبنى به ... بين الانام سيادة وعلاء
أولاة مصر وأنتم أبناؤها ... لم يبق فيكم للبلاد رجاء
أغريتم الخطب الجسيم ونمتم ... فلنوم عافية لكم وهناء
أرأيتم أمما تباع وتشترى ... ها أنتم بيع بكم وشراء
أيسركم أن يصبحن بنوكم ... وهم عبيد فى الورى وإماء ؟

ولقد أعجبنا بقوله فى أول هذه القصيدة :

أفسلمون وأمة شلاء ... لاميتون ولاهم أحياء
قد أثقلوا الاسلام عن وثباته ... وهم عليه معرة وبلاء
فى كل دهر سقطة عرفت لهم ... وبكل قطر منهم غوغاء

وانى لأتمنى أن يكثر الشعر فى تذكير المسلمين بعهدهم الغابر، ومجدهم الداثر، عسى الله أن يجعل من هذه الشعوب قوة تنصر العلم والمدنية، وتحرس السلم والحرية، فقد كانوا فى القديم سادة المشرقين وقادة المغربين، وكانوا غرة فى جبين الدهر، ودرة فى تاج الزمن. وانى لأرجو، ان عاد للاسلام مجده وفخاره، ورد اليه عزمه وشبابه، أن نعيد للسلم سيرته الأولى، ونلبسه ثوبه الذى لايبلى، وعقده الذى لاينحل

وأول هذا الأمر نحن أساته ... وآخره حتى يعود كما بدا

— ١٢ —

وفى الأحباب مختص بوجد ... وآخر يدعى معه اشتراكا
اذا اشتبكت دموع فى خدود ... تبين من بكى ممن تباكى

كل الناس يدعون الحب، وقل منهم من يعرفه، وانما مثلهم كمثل

ذلك الذى نزل ضيفا عند (جميل) فجعل يأكل ويبث وجدا به حتى أتى على الزاد كله ، فقال جميل وهو يتهكم بصبابته ، ويهزأ من غرامه :

وأعجبنى من جعفر أن جعفرا يلح على قرصى ويبكى على جمل
فلو كنت عذرى العلاقة لم تكن بطيناوأنساك الهوى كثرة الاكل

فمن ذا الذى عرف الصبابة ، أو قدر الهوى حق قدره ؟

أليس كل ما لدينا من ذلك ، تلك الطرف القليلة . التى نتناقلها جيلا بعد جيل عن أولئك الشهداء الذين قضوا نحبهم فى الحب ثم مات الهوى من بعدهم كأن لم يكن شيئا مذكورا ؟

أما والله انى لاعيذك أيها القارىء أن تحسب تلك الأسفار العديدة التى ملئت بالنسيب ، ثروة للأدب والشعر ، فانما هي صدى أولئك الشعراء الذين وفوا لربهم ، فأنعموا النظر فى تعرف الجمال ، وتفهم الصبابة ، ويا بعد ما بين المحكى والحاكى !

كان الحرث بن خالد المخزومى من أحسن الناس تشبيبا ، ويزعمون مع ذلك انه كان يقول النسيب تظرفا ولا يعتقده ، وكان أكثر شعره فى عائشة بنت طلحة . فلما قتل عنها مصعب بن الزبير ، قيل له : لو خطبتها فقال : إنى لأكره أن يتوهم الناس أنى كنت معتقدا لما أقوله فيها

فيا عجبا ، أحسب ذلك الرجل أن من الشرف أن يقول بلسانه ما ليس فى قلبه ، وأن من الضعة أن يكون قلبه مرشداً للسانه ؟ !

لقد اعتاد الشعراء من عهد بعيد أن يبدأوا قصائد المديح بالنسيب ، فكثر لذلك المتعشقون ، وتعدد المتظرفون

اذا كان مدح ، فالنسيب المقدم أكل فتى قد قال شعرا متيم !

ولا أنكر أن يكون لكل شاعر صبوة ، ولكننى أعرف مع ذلك أن ليس الهوى فى كل حين بلذاع ، فخير للشاعر أن يكون وفق قلبه ، ينسب ان اشتاق للنسيب ، ويفتتح قصائده بما قيلت له ، ان خبت نار وجده ، أودب السلو فى هواه

قالت سكينة بنت الحسين لعروة بن أذينه ، وكان من الزاهدين : أأنت الذى تزعم أنك غير عاشق ، وأنت تقول :

قالت ، وأبثثتها وجدى فبحت به ... قد كنت عندى تحب الستر فاستتر

ألست تبصر من حولى ؟ فقلت لها ... غطى هواك وما ألقى على بصرى

والله ما خرج هذا من قلب سليم قط !

ولو أن سكينة سمعت قوله :

إذا وجدت أوار الحب فى كبدى ... ذهبت نحو سقاء الماء أبترد

هبنى بردت ببرد الماء ظاهره ... فمن لنار على الأحشاء تتقد

لرحمته فى وجده ، ورثت له فى هواه

وهنا ألفت نظر القارىء الى خطأ كتاب التراجم ، فيما يزعمون من عشق الفرزدق ، وخلو جرير ، فى حين أن جريرا كان حلو النسيب ، وكان الفرزدق فاتر التشبيب ، فيا قوم !

ان الكلام لفى الفؤاد وانما ... جعل اللسان على الفؤاد دليلا

فكيف تزعمون أن جريرا لم يعشق وهو القائل :

ما للمنازل لا تجيب حزينا ... أصممن أم قدم البلى فبلينا !

لا ، بل بلين ! فهجن داء ساكنا ... لمتيم وأثرن منه دفينا

راحوا العشية روحة مذكورة ... ان متن ، متنا . أو حيين ، حيينا

ان الذين غدوا بلبك غادروا وشلا بعينك ما يزال معينا
غيضن من عبراتهن وقلن لى ماذا لقيت من الهوى ولقينا

وكان يقول: والله لولا ما شغلت به من هذه الكلاب، لشببت تشبيبا تحن منه العجوز الى شبابها والجمال الى أعطانها!!

أم كيف تزعمون أن أبا العتاهيه. كان يقول النسيب تظرفا لا عن عشق وهو القائل فى بعض قصائده:

يامن تفرد بالجمال فما ترى عينى على أحد سواه جمالا
أكثرت فى قولى عليك من الرقى وضربت فى شعرى لك الأمثالا
فأبيت الا جفوة وقطيعة وأبيت الا نشوة ودلالا
بالله قولى ان سألتك واصدقى أوجدت قتلى فى الكتاب حلالا
أم لا. ففيم جفوتنى وظلمتنى وجعلتنى للعالمين نكالا؟
كم لائم لو كنت أسمع عذله قد لامنى ونهى وعد وقالا

ولعلكم فتنتم بما يذكر من براءته من الحب. وإبائه النسيب لما أمره بذلك الرشيد. ولعمرى لقد كان من أصدق الناس حبا. وأمتنهم صبابة. ثم عاد أنصفهم لنفسه وللأدب. فان الرجل كان كبر. حينما أشار عليه الرشيد بالنسيب. والكبر يودى بالحب. ويذهب بالصبابة

وكان المهدى قد ضربه مائة سوط لقوله:

ألا إن ظبيا للخليفة صادنى ومالى على ظبي الخليفة من عدوى

وقال: أبى يتمرس، ولحرمى يتعرض، وبنسائى يعبث؟ ونفاه الى الكوفة

ثم تلطف أبو العتاهية حتى اتصل بالرشيد فى خلافة أبيه، وتمكن

من قلبه ، وبلغ المهدى خبره فأحضره وأنبه على ما قال من النسيب بعد نهيه عنه. فيالله من ظلم العواطف!

ثم قال له : ان شئت أدبناك بضرب وجيع ، لاقدامك على مانهيت عنه واعطيناك ثلاثين ألف درهم ، جائزة على مدحك لنا ، وان شئت عفونا عنك فقط.

فقال : بل يضيف أمير المؤمنين الى كريم عفوه ، جميل معروفه ، ومكرمتان أكثر من واحدة ، وأمير المؤمنين أولى من شفع نعمه ، وأتم كرمه ، فأمر له بثلاثين ألف درهم وعفا عنه.

ولما قدم الرشيد الرقة ، أظهر أبو العتاهية الزهد والتصوف ، وترك الغزل ، فأمره الرشيد أن يتغزل ، فأبى ، فأمر بحبسه. ثم نمى اليه بعد أيام أنه سمعه يتغنى بقوله :

خليلى مالى لا تزال مضرتى ... تكون على الاقدار حتما من الحتم

كفاك بحق الله ماقد ظلمتنى ... فهذا مقام المستجير من الظلم

ألا فى سبيل الله جسمى وقوتى ... ألا مسعد حتى أنوح على جسمى

فأمر باحضاره وقل : بالامس ينهاك أمير المؤمنين المهدى عن الغزل فتأبى الا لجاجا ومحكا. واليوم آمرك به فتأبى جرءة واقداما !!

فقال : يا أمير المؤمنين: (ان الحسنات يذهبن السيئات)

كنت أقول الغزل ولى شباب وجدة. وبى حراك وقوة. وأنا اليوم شيخ ضعيف لايحسن بمثلى التصابى

مرحى. مرحى يا أبا العتاهية: انك والله لحازم ندب! عصيت الخليفة وأطعت الأدب. والادب خير من الامتثال!

خرجت على الرشيد . فلم تقل بلسانك ماليس فى قلبك . ولم يستطع الشعراء أن يخرجوا على تلك العادة القديمة . من استهلال المديح بالنسيب فكان ما نراه من القول الذى لااب له ، والشعر الذى لاروح فيه . ولوأنهم أطاعوا ضمائرهم عند حرارة الصبابة . فقالوا فى ذلك ماشاءت لهم المشاعر والاهواء . ثم سكتوا عند خمودها . لكانوا فى الاولى صادقين . وفى الثانية منصفين .

فى عالم السياسة

الى الدكتور ولسن

ان الهدايا التى راعتك قد ضمنت ذهاب عقلك لما غرك الذهب
سيقت اليك فلم يحرج بها شرف يذود عنك ولا دين ولا حسب
عهدى بقومك لايرضون عن رجل اجل ما يبتغيه المال والنشب
فالق العقاب على مانلت من تحف تشكو الجمارك بلواها وتنتحب

***

الى حضرة المحترم الدكتور ولسن

لعمرى لئن أمسيت بالسقم ساهراً تخال الفراش الغض من وهج الجمر
فقد أسهرت عيناك بالامس أمة رأت غبنها فيما قضيت من الأمر
فمت غير محمود وإن شئت فلتعش حليف الضنى بين المهانة والثبر

الحديث ذو شجون

جاءنى كتاب خاص بتوقيع (على الشايب) يذكر كاتبه أنه يخاطبنى لأول مرة ، ويرجونى أن لا أرد على الآنسة منيرة ، ويود لو قصرت جهودى على بسط «مدامع العشاق» التى تنشر منها جريدة (الصباح) رسائل وجيزة لاتشفى الغليل ، وقد بلغ من أدب الكاتب أن ترك لى الحرية فى العمل نصيحة أسداها الى طوعاً لصداقة روحية قديمة العهد بالوجود . وبالأمس لقينى صديق (عبد المجيد عيسى البيه) وأخبرنى أنه طرب للمعركة التى قامت بينى وبين الآنسة منيره على قدم وساق !

ومما يجمل ذكره أن الأديب على الشايب يريد أن أعنى بمدامع العشاق فى حين أن الصديق عبد المجيد البيه يريد أن أعنى بالرد على الآنسة منيرة لاصرف عن مدامع العشاق ، وكان يود صديقى عبد المجيد أن يكون لهذه الابحاث الطريفة بديل : هو البحث فى الزهد والقناعة والعفاف هدانا الله واياه الى سواء السبيل ! !

وأعود الى خطاب الاديب على الشايب ، فأشكر له غيرته على صديق لم تؤلف بينه وبينه غير الاواصر الادبية ، وتلك والله سجية كريمة هى الغرة فى جبين الغرائز والطباع . غير أنى مع الشكر لغضبته الشريفة أؤكد له انى تلقيت خطاب الآنسة منيره بأحسن قبول . وكدت أذوب خجلا وحياء لعتابها الرقيق . وأنا الذى مازلت أعض بنان الندم على كلمة قاسية

وجهتها الى الآنسة مى الكاتبة المجيدة وأنا أنقد خطبة امين الريحانى فى جريدة الافكار . وكم فرحت حين انتصر لها كاتب فى جريدة النظام قائلا أن أدبى فى خطاب الآنسة مى لا يتناسب مع الليسانس فى الآداب!

لا خيل عندك تهديها ولا مال   فليحسن النطق إن لم يحسن الحال

حقا إنها لجرأة غريبة أن يخاطب المرء سيدة أو فتاة ، فيحاول الغض من مقامها الذى أعزه الله بالرفق والوداعة والجمال ! فما أقسانى ياصديقى وما أقساك ! تريد أن لا أرد على الآنسة منيره لانها تتطاول ظلما على طلبة الحقوق ، وأريد أن تطمئن ، وأن تقرأ قول حافظ بك ابراهيم :

وكيف يضيع للطلاب حق   وهم فى مصر طلاب الحقوق

وقديما قال معاويه : إنهن يغلبن الكرام ، ويغلبهن اللئام ! وأنا لست بلئيم حتى أغلب الآنسة منيره ، فاللهم اشهد اننى مغلوب !

الأمان ! الأمان ! سلمت سيفى   وطويت اللواء تسليم راغم

بيد انى ألاحظ بكل أدب وإجلال أن الآنسة منيرة تعجلت بالحكم على كتابة ابن المقفع « اذ تعتقد أن كتابته ثقيلة معقدة » مع أن أسلوبه برىء من الثقل والتعقيد ، واننى أتمنى لو عنى طلاب الادب جميعا بقراءة كتب ابن المقفع اذ كان تعبيره أدق تعبير بعد القرآن المجيد ، وانى لأشبهه بالصيدلى البارع الذى يحكم الجمع بين أجزاء الدواء بحيث لو حذف جزء لأصبح الدواء ضارا أو غير مفيد ، وقد يتعذر أن تجد فى كتب ابن المقفع جملة تنقصها كلمة . او يمكن الاستغناء فيها عن كلمة . وحبذا لو رجعت اليه الآنسة منيره مرة ثانية لتعرف صدق ما أقول ! وانى لناقل هنا نماذج من أسلوبه الدقيق متعة للقارئين . قال ابن المقفع يصف المغرمين

بالنساء « ومن العجب ان الرجل الذى لا بأس بلبه ورأيه يرى المرأة من بعيد متلففة فى ثيابها . فيصور لهـا فى قلبه الحسن والجمال . حتى تعلق بها نفسه من غير رؤية ولا خبر مخبر . ثم لعله يهجم منها على أقبح القبح وأدم الدمامة . فلا يعظه ذلك ولا يقطعه عن أمثالها . ولا يزال مشغوفا بما لم يذق . حتى لو لم يبق فى الارض غير امرأة واحدة لظن ان لها شأنا غير شأن ماذاق . وهذا هو الحمق والشقاء والسفه »

وقال فى اختيار الصديق « اجعل غاية تشبثك ـ فى مؤاخاة من تؤاخى ومواصلة من تواصل ـ توطين نفسك على انه لا سبيل لك الى قطيعة اخيك وان ظهر لك منه ماتكره ، فانه ليس كالمملوك الذى تعتقه متى شئت ، أو كالمرأة التى تطلقها اذا شئت . ولكنه عرضك ومروءتك ، فانما مروءة الرجل اخوانه وأخدانه فان عثر الناس على أنك قطعت رجلا من اخوانك وان كنت معذورا نزل ذلك عند أكثرهم بمنزلة الخيانة للاخاء والملال فيه ، وان انت مع ذلك تصبرت على مقارته على غير الرضى عاد ذلك الى العيب والنقيصة ، فالاتئاد الاتئاد والتثبت التثبت : » وقال عن فضيحة الادعياء « لا تكثر من ادعاء العلم فى كل ما يعرض بينك وبين اصحابك فانك من ذلك بين فضيحتين : اما ان ينازعوك فيما ادعيت فيهجم منك على الجهل والصلف ، واما ألا ينازعوك ويخلوا فى يديك ما ادعيت من الامور فينكشف منك التصنع والمعجزة !

وان أردت أن تلبس ثوب الوقار والجمال وتتحلى بحليـة المودة عند العامة وتسلك الجدد الذى لا غبار فيه ولا عثار : فكن عالما كجاهل وناطقا كعيي ، فاما العلم فيزينك ، واما قلة ادعائه فتنفى عنك الحسد ، وأما المنطق

اذا احتجت اليه فيبلغك حاجتك ، واما الصمت فيكسبك المحبة والوقار »

هـذه طريقة ابن المقفع فى كتابته ، وقد ترى فيها الآنسة منيرة الفاظا غير مألوفة ، ولـكن ابن المقفع عن ذلك غير مسئول ، فعلينا نحن ان نتألف اللغة حتى لاتصبح فيها كلمة غريبة ! واذا كانت الآنسة منيرة تأنف ان تتلقى من مثلى نصيحة بعد ما أفنيت شبابى فى دراسة الآداب العربية والفرنسية فـلا وجه نصحى الى من منحهم الله نعمة التواضع ، وحبب اليهم الاستماع لما يقول الادباء. وانى لأحذر تلامذتى المتواضعين من الاغترار بالأساليب المزخرفة ، فان الفرح بالنقوش والزخارف فى الفصاحة والبـلاغة يدل على ان القارىء قليل الخبرة بمواطن الحسن فى طرائق البيان ! ومثل الاساليب الـكتابية مثل الأشياء المعروضة للناظرين يفتن الطفل بأجملها لونا وأصغرها قيمـة ، ويعجب الرجل بأمتنها سبكا وأبرعها جودة ، والـكاتب المبدع هو الذى يجمع بين جمال اللفظ وجمال المعنى كالصانع الموفق يجمع بين متانة المادة وجمال الصورة .؟

ويرحم الله شبابنا المسرفين الذين يجرون فى الـكتابة على غير هدى وفيهم مع الأسف طلبة المدارس العالية ! ولـكن هكذا قدر أن يكون لـكل شىء فى مصر ميزان إلا الشعر والنثر ، وان كل امرىء فى مصر مسئول الا الـكتاب والشعراء . ولقد لقينى بالامس صديقى الشيخ محمد الجعار فسألته ماذا أبدعت من الشعر ؟ فأنشدنى هذا البيت فى فتاة ذكر أنها فى ميعة الشباب

فرجت كربة نفسى بنت عشرين وخمس

فعرفت أنه لم يحدد سنها بخمس وعشرين سنة الا خضوعا للقافية . كما أطالت الآنسة منيرة خضوعا للرغبة فى الانتقام من المخلص زكى مبارك

الادب الجديد

أ كنت تحسبنا فى حاجة الى ان نبنى داراً جديدة للبرلمان لو أن قصر «اللابيرانت» موجود ؟ اننا لو فعلنا ذلك لكنا من المسرفين . وهل ترى من الحزم ان نبنى قناطر أخرى بمحاذاة القناطر الخيرية وهى ماهى فى متانة البناء ؟ وهل ترى من حسن الادارة ان نحفر مجرى آخر للنيل يساير فرع رشيد او فرع دمياط على حين لم يشك احد الظمأ بالقرب من هذين الفرعين ؟ وهل تجد من الرأى ان يبنى مسجد جديد فوق القلعة وان كان مسجد محمد على يسع أضعاف المصلين هناك ؟

الامر واحد ايها القارىء فى عالم المحسوسات وفى عالم المعقولات . فما بالنا نبنى مالا حاجة اليه فى الآداب باسم التجديد والابداع ؟ وأريد أن أقدم لك هذا الموضوع بشىء من التفصيل : هل تذكر ان النقاد الاقدمين فضلوا جريراً على الفرزدق لان هذا ماتت امرأته «النوار» فلم يبكها الا بقصيدة جرير فى بكاء امرأته :

لولا الحياء لهاجنى استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار

وهذا لايدل عندى على أن الفرزدق اضعف من جرير فى الرثاء ، ولكنه يدل على حبه للقصد وبغضه للاسراف ! والا فما الحاجة الى ان ينظم فى رثاء امرأته قصيدة جديدة وأمامه قصيدة جرير تسعده على البكاء.

ان عرائس الشعر فى عالم المعقولات تشبه الانهار فى عالم المحسوسات فكما لايجوز ان تحفر نهراً جديداً تتلف فى سبيله ماشئت من المبانى والمزارع من غير حاجة ماسة، لايجوز ان تنشىء قصيدة جديدة تسهر من

اجلها ليلك من غير سبب معقول . وليس معنى التجديد والابداع ان تزيد او تنقص ما أجاد فيه من قبلك الكتاب والشعراء . وانما تكون مبدعا حين تنشىء آثاراً جديدة فيما غفل عنه الإقدمون او قصر فيه المحدثون . ولأضرب لك الامثال:

ألم تشك مرة غدر الصديق ؟ ألم تحاول النيل من اخ كان وفاؤه طيب الحياة، ثم عاد غدره نكد الحياة ؟ فان كنت وقفت هذا الموقف فى حياتك الوجدانية . فهل تذكر انك فزعت بعد نية القطيعة الى الصفح الجميل ؟

كثير منا عالج هذا الموقف العصيب . ثم هم بان يعبر عنه برسالة . اوينظم فيه قصيدة . ولكن الا يكون من العبث ان يفعل ذلك وقد سبقه الشريف الرضى الى الغاية القصوى فى استبقاء الصديق . واليك ماقال الشريف :

وكم صاحب كالرمح زاغت كعوبه ... أبى بعد طول الغمز ان يتقوما
تقبلت منه ظاهرا متبلجا ... وأدمج دونى باطنا متجهما
ولو أننى كشفته عن ضميره ... أقمت على ما بيننا اليوم مأتما
كعضو رمت فيه الليالى بقادح ... ومن حمل العضو الاليم تألما
اذا أمر الطب اللبيب بقطعه ... اقول عسى اضنا به ولعلما
صبرت على ايلامه خوف نقصه ... ومن لام من لا يرعوى كان ألوما
هي الكف مض تركها بعد دائها ... وان قطعت شانت ذراعا ومعصما
دع المرء مطويا على ما ذممته ... ولا تنشر الداء العضال فتندما
اذا العضو لم يؤلمك الا قطعته ... على مضض لم تبق لحما ولا دما

خبرنى بربك ما الذى ينقص هذه الصورة الشعرية حتى تحاول بناءها من جديد ؟ وما الذى بقى فى نفسك بعد هـذا التفصيل حتى تتورط فى الفضول ؟ اذن فلتكن هذه القطعة أنشودتك حين يبدو لك مايسوء من صديق قديم

وبعد هـذا . أتذكر أنك ظمئت الى بعض الثغور . وأنك حين وردت عدت وأنت صديان هائم . ثم هممت بان تقول شعرا فى هذا المعنى الجميل ؟

قل الحق فكلنا ظماء! ولـكن هل وجدت أبدع من قول ابن الرومى:

أعانقـه والنفس بعد مشوقة ... اليـه وهل بعد العناق تدان
وألثم فاه كى تزول حرارتى ... فيشتد ما ألقى من الهيمان
ولم يك مقدار الذى بى من الجوى ... ليرويه ما تلثم الشفتان
كأن فؤادى ليس يشفى غليـله ... سوى ان يرى الروحين يمتزجان

وماذا عسى ان تصنع اذا حاولت بسط هذا المعنى البديع ؟ انك لابد مفسده اذا أقدمت على هـذه المحاولة !! ويجب أن تعلم ان الثوب حين يلابس الجسم لايجمل به بعـد ذلك ان يتسع ولا يحسن به أن يضيق . وكذلك الصورة الشعرية حين تلابس المعنى المراد

وهل تذكر أنك هجرت بعض البيوت غير قال ولا صادف ، ثم أقبلت على بعض البيوت غـير عاشق ولا وامق ، وأنك عجبت لتركك حبيبك ارضاء لبغيضك ، حين أقبلت على بيت عـدوك وأوليت بيت حبيبك الصدود ؟ وهل تجد فى مثل هذا الموقف أجمل من قول الأحوص :

يابيت عاتـكة الذى أتعزل ... حذر العدى وبه الفـؤاد موكل

اصبحت امنحك الصدود واننى قسماً اليك مع الصدود لأميل
فصددت عنك وما صددت لبغضة اخشى مقالة كاشح لا يعقل
وتجنبى بيت الحبيب أوده أرضى البغيض به حديث معضل
ولئن صددت لانت لولا رقبتى أهوى من اللائى أزور وادخل

فما الذى فات الشاعر فى هذا الموقف حتى تضع له غير هذه الابيات فى البيت الاول خلاصة الحديث وفى الابيات التالية ايضاح وتفصيل. ولعلك لا تجد أحكم من قوله :

وتجنبى بيت الحبيب أوده أرضى البغيض به حديث معضل

وهل تذكر ان صديقاً لج فى عتابك وكنت فى وده من الاوفياء وأنك أردت أقناعه بان الحياة قصيرة وان الحزم كل الحزم فى الانصراف عن العتب واغتنام أوقات الصفاء ؟

هذا معنى فطرى يجول فى جميع النفوس ؛ ولكن هل تجد فيه أجمع من قول سعيد ابن حميد

أقلل عتابك فالبقاء قليل والدهر يعدل تارة ويميل
لم أبك من زمن ذممت صروفه الا بكيت عليه حين يزول
ولكل نائبة ألمت مدة ولكل حال اقبلت تحويل
والمنتمون الى الاخاء جماعة ان حصلوا افناهم التحصيل
فلئن سبقت لتبكين بحسرة وليكثرن على منك عويل
ولتفجعن بمخاص لك وامق حبل الوفاء بحبله موصول
ولئن سبقت — ولا سبقت — ليمضين من لا يشاكله لدى خليل
وليذهبن بهاء كل مودة وليفقدن جمالها المأهول

وأراك تكلف بالعتاب وودنا باق عليه من الوفاء دليل
ولعل أيام الحياة قصيرة فعلام يكثر عتبنا ويطول

الم تر الى الشاعر وقد سد فى وجه صديقه منافذ الفراق ؟ الم تر اليه وقد تحسر على ايام كان يظنها ظوالم وهو الآن يبكيها بالدمع السخين ؟ فما معنى ذلك ؟ أليست هذه دعوة رفيقة الى اغتنام الصفو العتيد ؟ ولا تنس خوفه من أن يموت احد الصديقين فتكون قاصمة الظهر . وغائلة الفؤاد ؟ وتأمل رفقه فى قوله :

ولئن سبقت ـ ولا سبقت ـ ليمضين من لا يشاكله لدى خليل

بربك هل تجد ارفق من هذا الدعاء ؟ وهل ترك لك الشاعر شيئاً تقوله فى هذا الباب ؟ اذاً لا تحاول ان تضع شعراً جايداً فى هذا المعنى الذى وفاه سعيد بن حميد حتى لا يقبل المزيد !

ولا أشك أيها القارىء فى أنك رزئت مرة برجل أكول ! فان لم يكن ذلك ، فاعلم انه سيكون . وانى مقدم لك قول ابن هانىء الاندلسى فى هذا المخلوق :

ياليت شعرى اذا أوما الى فمه أحلقه لهوات أم ميادين
كأنها وخبيث الزاد يضرمها جهنم قذفت فيها الشياطين
تبارك الله ! ما امضى أسنته ! كأنما كل فك منه طاحون
اين الاسنة ام اين الصوارم ام اين الخناجر أم اين السكاكين
كأنما الحمل المشوى فى يده ذو النون فى الماء لما عضه النون
يخفض الرز من قرن الى قدم وللبلاعيم تطريب وتلحين
كأنما كل ركن من طبائعه نار وفى كل عضو منه كانون

كأنما فى الحشا من خمل معدته قرنفل وجواريش وكمون
قوموا بنا فلقد ريعت خواطرنا وجاذبتنا أعنتها البراذين

هذه نماذج من الادب القديم . وقد قدمت لك ان من العقل ان ننتفع بما للاسلاف من الادب الممتع الرصين . ومن الادب ماصار ميراثا للانسانية جمعاء . فلننتفع به كما هو ولنعفه من التغيير والتبديل . واذا شئنا أن يكون لنا ادب جديد فليكن فى موضوعات جديدة لم يتناولها الاقدمون والا أضعنا ماطمحوا اليه من الخلود . وأسأنا الانتفاع بما قدموا من جهود!

رفقا بالورق والحبر والمطابع ياحملة الاقلام! لاتكونوا ابواقا للقدماء بل كونوا شيئا يذكره التاريخ! لاخير فى الكاتب ان حرم الصدق والامانة وليس فى السارقين صادق امين! اكتبوا بانفسكم ولانفسكم . فان لم تستطيعوا ففى الادب القديم مايروى ظمأكم لو تعملون!

الطبيعة والانسان

كل ماوجد فى الانسان . أو خلق له . أو أحاط به يبلى ويتغير ويبيد فهو يمشى من الربيع الى الخريف . والقوانين . والعادات . والفنون الجميلة والممالك : كل هذه تنتقل من الجدة الى البلى ومن الشروق إلى الغروب وأحيانا تخترم وهى فى عنفوان الشباب!!

ومع ذلك فان الطبيعة تظل متمتعة بالثبات والخلود . على الرغم من وفرة الاستحالة والتطور والانقلاب! «معربة»

حديث القط

عزم القط ، بعد أن هزم الفيران . فى موقعة الصحراء . وبعد أن يئس من اغترارهم به . واقترابهم منه . أن يزور بيت الله الحرام . ليكفر عن سيئاته الماضية. وليمهد لحياته القابلة . بأداء فريضة الحج . فوزع المنشور الآتى على الفيران :

« لما تبيناه من قبح الظلم . وحسن العدل . ولما عرفناه من دمامة الرذيلة ووسامة الفضيلة . قد رأينا أن نؤم الديار الحجازية . لأداء تلك الفريضة الاسلامية

واذ كنا قد أفرطنا فى تعذيبكم . وأسرفنا فى تقتيلكم . فانا نرى من واجب التوبة . ولازم الأوبة . أن نعتذر الى جنابكم . لنسلم من دعائكم فان دعوة المظلوم ليس بينها و بين الله حجاب . ولا يغنى عن الظالم . ان لم يسمح المظلوم . رجع ولا متاب . فتفضلوا بالسماح . ليطيب الرواح . فننال الفلاح »

فلما قرأوه كانت هذه المحاورة :

الأول : سجع جميل

الثانى :وفعل قبيح

الثالث : افلح ان صدق

الرابع : لطالما ظلم

الخامس : عفا الله عما سلف

السادس : تصحبه السلامة

السابع : فلنودعه من بعيد . فان العهد بظلامه قريب . واننا نخشى ان واجهناه بالتوديع .ان يكون نصيبنا القتل الذريع

الجميع : هذا هو الرأى

ذهب القط الى مكة . فاقبل على الله باسانه . وأعرض عنه بجنانه . ثم عاد بباطن متجهم . وظاهر متبلج . فانقطع الى التبتل والعبادة. والتقشف والزهاد . فدار بين الفيران هذا الحديث :

الأول : حقا ان الحج يكفر ما قبله

الثانى : الا القتل والظلم (هتاف !)

الثالث : (أن الله لايغفر أن يشرك به . ويغفر مادون ذلك لمن يشاء)

الرابع : لمن يشاء !! (تصفيق حاد)

الخامس : انه يقيم الصلاة

السادس : ويؤتى الزكاة

السابع : سبحان مقلب القلوب

الثامن : سبحان غفار الذنوب

التاسع : هلم نصافحه :

العاشر : هذا أقل مايجب

الثانى : انتظروا أيها السادة . حتى اقف على دخيلة أمره وطوية نفسه فانه لا يصح للعاقل . أن يغتر بالظواهر . ويترك الجواهر . وان هذا القط قد خدعنا حينا من الدهر . فاولى أن لا نغتر به آخر العمر

الثالث : لاداعى لهذا الحذر

الرابع :اسكت ياجاهل فانك لاتعرف مكر القطط . ولا سيما الصالحين

من شيوخهم . والقانتين من كهولهم

الثامن : لعنهم الله أجمعين (هتاف)

الاول : فليذهب احدنا لاختباره

الجميع : هذا أسلم

***

ثم اختاروا من بينهم فارا دقيق الفهم . غزير العلم . كان قد زار الديار الاوربية . والاقطار الامريكية . وتلقى الفلسفة الهندية . مما جعله اكفأ من كثير من القطط . لولا قلة المال وندرة السلاح . وهما عماد القوة . وسناد النجدة !!

فما زال يمشى تارة على بطنه . وأخرى على رجله . يرفع رأسه حينا . ويخفضه حينا . وهو فى كل ذلك خائف وجل . حتى صار على مقربة منه وكان القط فى تلك اللحظة يقرأ ورد الصبح . ويتلو حزب أول النهار

فقال الفار بصوت منخفض :

حج مبرور

فانصت القط . وقال فى نفسه :

كأنى أسمع صوت فار . فلأعرف مكانه . يالها من فرصة ! يجب أن أستعدله !

غير أن الفار طال صمته . فاستأنف القط التلاوة . فجمع الفار قوته مرة ثانية . وقال بصوت أرفع من الاول :

حج مبرور — وسعى مشكور

فعرف القط ناحية الصوت . فهرع نحوه . فلاذ الفار بالفرار

وصل الفأر الى رفاقه. وقد امتقع لونه. وانصدعت كبده. فالتفوا حوله. لينظروا ماشأنه . فاذا به يحتضر

قال أحدهم وهو يودعه : كيف رأيت القط . أيها الاخ المحترم . فنظر اليه نظرته الاخيرة . ثم قال :

تسألني عن القط : الوجه وجه حاج . والفعل فعل شيطان !!

(وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يعقلون)

طفلة الحسناء

يا طفلة الحسناء   والدرة العصماء
ما طرفك النعسان   وخدك الفتان
إلا بقايا الإثم   ذات اللثات الحم

***

أشبهتها فى الدل   وجفنها المعتل
وردفها الثقيل   وخصرها النحيل
فاستوصفيها الحبا   واستودعيها الربا
فقد تناهى العمر   ونال منها الدهر

***

يازهرة فى العين   ونغمة فى الأذن
وطفلة فى المنظر   وغادة فى المخبر
لامسك الغرام   فانه ظلام !

مقاصد الشعراء

نريد بمقاصد الشعراء الغايات النبيلة التى يسعون اليها فى الحياة. وبعبارة أوضح. الصور الجميلة التى تتمثلها أرواحهم كلما هموا بضرب الامثال للناس. ولست أريد فى هذه الكلمة ان انتزع صورة للشاعرية الحقة من بين ما قرأت من شعراء العرب والفرنجة. فان ذلك وان صح ان يكون هاديا لبعض العقول فانه كثير فى الكتب المختارة من دواوين ومجاميع. وهو على الجملة فى مقدور كثير من عشاق الادب والبيان

لم يعرف الأدباء ولا العلماء — الا قليلا منهم — معنى الشعر فى القرآن. أوما يقصد العرب من وصف النبى بانه شاعر. او الصورة التى تمثلوها حينما ظنوا القرآن قصيدة طويلة. وحسبوا ان النبى شاعر مطيل ويخطئ من يظن انهم كانوا مستهزئين بالنبى حين وصفوه بالشاعرية. فان الشعر كان عندهم فى منزلة فوق الاعزاز والاجلال. ولكنهم ارادوا ان يصفوه بالعبقرية ـ وان يجعلوا رسالته فى صف الامانى العالية التى لا يتخيلها الا الشعراء. وأن يجعلوا لانفسهم عذرا فى التخلف اذا رأوا فى الشريعة تكليفا فوق الوسع. ثم استحبوا العمى على الهدى فما يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس !!

وأريد أن أقول: انهم يرون فى الشعر شرعة خاصة يلزم باتباعها من سمت نفسه الى ادراك ما يوحى به الشاعر المجيد. فهم يشيرون على النبى بأن يبحث عن طائفة من الناس تفهم كما يفهم. ويكون مرأى الحياة فى ادراكها كمرآها فى ادراكه. ويلذ لها من التكاليف العصيبة ما يلذ له.

أما هم فانهم بفضل سلامتهم من جنون الشعراء ـ والنبوغ نوع من الجنون ـ غير مكلفين باتباع ما يبعد الشعر وأهله من أنظمة الحياة العالية . وكذلك يرون التشريع الخاص غير التشريع العام . ويرون فى شريعة النبى دقة تسمو بها الى الشرائع النظرية . وتبعدها عن الشرائع العملية . وانهم لفى ضلال مبين

الشعر فى نظر العرب يدعو الى شريف الخلال . وكريم الخصال أو يبدع صورا للذائذ الحسية والمعنوية . فالحق العالى الصرح . والباطل الواهى الاساس . والفضيلة الرفيعة. والرذيلة الوضيعة . كل أولئك مما يقع تحت حس الشاعر المبدع . فهو فاضل ان دعا الى الفضيلة . وناقص ان زين الرذيلة . وهو على كل حال معروف بالقدرة على وصف ما يدعو اليه العقل . او يرنو له القلب . وللناس فيما يعشقون مذاهب ! أقول ذلك ، لئلا يحسب واهم انى اجعل الشعراء ، فى درجة الانبياء . ولكنى كذلك أرجو ان لايتخلف عنى بعض القراء فيما فهمناه معا من ان الشعر انما يضع الامثلة العالية . فالشاعر اما صانع قادر. أو واصف ماهر والناس مختلفون فى اتباعه : فمنهم من يتبعه أحسن ام أساء . لأن الحياة عندهم ذات الوان . والشاعر يصف الوانها الدميمة والوسيمة. وهم يريدون ان يتذوقوا كل مظاهر الحياة . ومنهم من يتبعه إن اخطأ و يصدف عنه ان اساء . وهؤلاء هم المخلدون الى الحياة الوادعة . والصادفون عن الحياة العاملة . وهم لايقرءون كل شعر كالصنف الاول ليقفوا على أنواع المدركات ، من حق واضح . أو باطل فاضح . ولكنهم يعكفون على طائفة من الشعر الذى انفصمت عراه و تفككت اوصاله . ليتم لهم التناسب

بين ماتعمل أيديهم وما تقرأ ألسنتهم . وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون !

ومن الناس من يتبع الشعر الداعي الى الحق . ويرى فيه نغمة من نغمات النبوة . وعلامة من علامات الرسالة . والشعراء عنده لايتفاوتون بما تفاوتوا به عند غيره من الرغبة فى الفضيلة . أو الميل الى الرذيلة . ولكنهم يتفاضلون بتقديرهم للفضائل ، وتصويرهم للمحامد . فهو يفضل بعض الشعراء على بعض . كما فضل الله بعض الأنبياء على بعض . وهؤلاء الشعراء وتابعوهم من بناة المجد هم الذين عناهم ابو تمام حين قال :

ولولا بناة الشعر فى الناس مادرى   بناة الندى من أين تبنى المكارم

ولا يتوهمن قارىء ان اختلاف الشعراء فى مذاهبهم الأخلاقية . مما يؤثر عليهم فى الحكم من الناحية اللغوية : فان أبا نواس فى خمرياته . افصح من ابى العتاهية فى زهدياته . ولكن هناك وجها آخر للمفاضلة : وهو ان للغواية دركات . كما ان للهداية درجات . فالمثل العالى للخلاعة انما يدركه الشعراء الخلعاء . والمثل الاعلى للنبالة انما يدركه الشعراء النبلاء . ولكل شعر موضع . ولكل مقام مقال . فليس للشاعر أن يلبس روح الخليع حينما يريد ان يكون قدوة فى المكارم . وليس له أن يلبس روح النبيل حين يريد أن يكون عمدة فى المآثم . وانما يلبس لكل حال لبوسها من جد وهزل . فيتعالى فى الجد حتى يقال نبى مرسل أو حكيم موفق : ويتراجع فى الهزل حتى يقال ماجن مازح . أو ذو صبوة خليع

اذا جد حين البأس اغناك جده   وذو باطل ان شئت ارضاك باطله

وليس يخفى على القارىء انى هنا انما أحكم على انواع الشعر وطوائف

الشعراء ولست ادعو الى طريقة معينة أو مذهب خاص، فان لذلك بحثاً غير هذا البحث ـ واريد ان أسأل القارئ بعد ماسلف من البيان: هل الشعر فى (مشروع ملنر) من الجد أو الهزل؟ وهل الشعراء فيه من الخلعاء أو الحكماء؟

***

قرأنا للشاعر المجيد احمد بك شوقى قصيدة فى هذه الاتفاقية. كان نصفها الاول النسيب. وهو يتطلب الاسراف فى الخلاعة. فلذلك راقنا منه أن يذكر أن قلبه لم يقلع عن الغواية وهو أشيب. وأن سرب الغوانى لعب بلبه فأضله سواء السبيل. راقنا ذلك كله. لأنا نستملح كل ما يأتى عن طريق القلب. ولأن النسيب من الأشيب عنوان ظرفه. ولأن هذا المثل مما يتأسى به المسرفون فى الصبابة وهم أحداث. ولا ننكر أن هذا مقبول ولو إنصافا للفن. وان كنا نود لو وصف شوقى نفسه بما وصف به ابن الصمة أخاه حين قال

صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه فلما علاه قال للباطل ابعد

وكان النصف الثانى بيانا لرأيه فى مشروع الاتفاق. ولا يستطيع من قرظ قصيدة شوقى تلك بكلمة موجزة ان يدعى أن الحكم على هذا المشروع مما يدخل فى طائفة الحكم على عتق الخمر. وصفاء الكاس. وحلاوة العين. وجمال الأنف. ورشاقة القد. الى غير ذلك من الاوصاف الظاهرة لمحاسن النساء أو الاشجار أو الانهار أو الجبال. وانما هو حكم على آمال امة تختلف أطماعها السياسية باختلاف عقول أبنائها البررة من علماء وحكماء وشعراء. وباختلاف الآمال ضعفا وقوة يوصف الرجل بانه قوى أو ضعيف

ولئن كان الشاعر حرا فى اختيار النوع الذى يحبه من الحياة . فانه غير حر أو غير مقتدى به فى الدعوة الى نوع من الحياة لايتلاءم مع ماضى الشعب الذى ولد فيه. والوطن الذى درج منه . وهو عرضة لأن يوصف بضعف العزيمة . وخمود النفس . وركود الطبع . وأهل لان ينكر عليه ماضيه الأغر . وسابقه المحجل . وأقل مايجد الناقد فيه من العيوب أن شعره ليس شريعة عامة للشعب. وأنه بدلا من أن يتعالى الى أبكار الامانى، فهو يتسفل الى ثيبات النوازع . فهو يدعو الناهضين الى السقوط . ولا يحض الساقطين على النهوض . وهل أوجب للعتب من أن يختص شوقى بك جريدة الاخبار بتلك القصيدة التى لاتسوغ إلا لدى النفوس الضعيفة ولا يبسم لها الا من يئس من روح الله ؟

إنه لايصح لمثلى أن يلفت نظر شوقى بك الى آمال المتنبى.ولا مطامع دانونزيو . فانه بهما أعلم . وبفضلهما أعرف . ولكن ألا يصح ان نرسل دمعة واحدة فى توديع الآداب العربية ؟

لقد بلغ ضعف النفوس مبلغا لايستهان به حتى لقد كتب (شاعر) يعرفنى وأعرفه قطعة فى مدح المشروع ولم يجرؤ على التصريح باسمه. ولكنى عرفته بسيما شعره . وسأعاتبه بعد حين . فأين هذا المحتجب من الذى قال :

الليل والخيل والبيداء تعرفنى والسيف والرمح والقرطاس والقلم

إنكم لاتجهلون فضل المثال الاكمل فى رءوس الوطنيين كما لم يجهل العرب فضل المثل الاعلى فى الشعر الذى حسبوا القرآن نوعا منه . فهل يهديكم الله من بعد كما هداهم من قبل ؟!

في سبيل الوفاء

فتنت بشعرى مرة فجمعته فى كراس خاص. ثم عدت اليه فى هذه الايام فلم يرقنى منه غير القليل. ومن بين ما زهدت فيه قصائد قلتها فى تكريم فريق من أساتذتى فى الازهر والجامعة المصرية. ولكننى رأيت من الوفاء ان اذكر مقتطفات من تلك القصائد المهجورة تحية لاولئك الاساتذة الاجلاء

قلت فى تكريم الاستاذ الشيخ مصطفى القاياتى قصيدة جاء فيها :

نصيب الأعادى منك لو يعلمونه ... نصيب الجزوع الظامئات من الجود
فلا تترك الآداب يابن مليكها ... الى الدهر تسقى من أراقمه الربد
وكن غوثها حتى ترف كأنما ... تحس من القايات طيب صبا نجد

وقلت فى تكريم الاستاذ الشيخ سيد المرصفى قصيدة جاء فيها :

بربك هل أبقيت للناس نتفة ... من الفضل أم آثرت نفسك بالحسن
فانى أراهم يبتغون الى العلا ... مسالك لا تهدى اللبيب ولا تغنى
هو الازهر المعمور ضم شتاتنا ... فمن تابع للسالفين ومفتن
حسبنا العلا وقفا على كل مقتد ... فضعنا وضيعنا الكمال على الذهن
وقد عرف الاسلاف قيمة عقلهم ... فباتوا على علم وبتنا على ظن
أعذنى من أهل الخمول فاننى ... أرى قربهم يدعو الشجاع الى الجبن
ولا تنسنى من فضل نصحك لحظة ... فلست عن النصح الجميل بمستغن

وقلت فى تكريم الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى قصيدة جاء فيها

امام تقلد خير الخلال ... بجود السحاب وعز القنن
وظرف الاديب ونبل الاريب ... وحكم اللبيب ووعظ الزمن
ورشد ابن رشد وحزم ابن حزم ... ورأى الامام وفقه الحسن

يجمل بالرشد إما أقام ويتبعه الرشد اما ظعن
كأن لشانيه من حامه دروعا تقيه عقاب الاحن

وقلت فى توديع الاستاذ الشيخ محمد المهدى حين اعتزل التدريس بالجامعة المصرية قصيدة جاء فيها

وما كانت الآداب الا طرائفا من الشعر أو ما يستجاد من النثر
فأبرزها المهدى عذراء غضة تأود تحت الحلى فى الحلل الخضر
مباحث لو غذى زهير ببعضها لأضحت قوافيه اجل من السحر
ولو فقه النيل المبارك كنهها لحول ذياك المزيج الى خمر
ولو أذن الدهر العبوس لبعضها لأصبحت الايام ضاحكة الثغر
ولو عرفت مصر المفداة قدرها لباتت لما يلقى البيان على جمر
فيا واحدا عز البيان بفضله على طول مالاقى البيان من الهجر
لبعدك فى الاحشاء نار ذكية تفتت من كبدى وتأكل من صدرى
صبرت عليها يعلم الله راغما على حين لاغوث يؤمل من حر
ولما رأيت الصبر ليس بنافعي عمدت الى همى احمله شعرى

وقد بقى شعر كثير قلته فى تكريم أساتذتى والتودد الى اصدقائى وزملائي ولكن الحوادث لعبت به كما تلعب العواصف بالأزهار !

وكم وددت لو استطعت نشر ما يمثل الوفاء فى نفس لم توصم يوما بنسيان الجميل ولكن ما الحيلة وقد تغير رأيي فى بعض شعرى وعبثت الليالى ببعضه ؟ فمعذرة الى كل من يحسب من اساتذتى واصدقائى وزملائى انى اغفلته عمدا فى هذا الكتاب

ومن يدرى ؟ لعلى منسى من جميع هؤلاء !

الأزهر الشريف

فى نهاية السكة الجديدة . من الناحية الشرقيـة . على يمين السائر . حارة ضيقة توصل الى مسجد جامع عتيق : هو الازهر الشريف

لاخلاف بينى وبين أهل مصر . فى أن هذا هو الازهر . فقدزاره بعضهم لطلب العلم. وزاره آخرون ابتغاء الاستطلاع . ومن لم يره منهم لا يجهل انه فى هذا الموضع وعلى تلك الحال

ولـكنى على يقين . من أن الاجانب فى شك منه . فانهم يسمعون فى بلادهم . ان الازهر أكبر الجامعات الشرقية . ومن أعظم المساجد الجامعة الاسلاميـة .وانه ان لم يكن أجمل مكان فى الشرق . فهو جدير بعناية الامراء . ورعاية العظماء. فلا بدأن يكون قريبا من جامعات برلين ومدارس مونبلييه . وما الى ذلك من تلك المعاهد . التي ورثت عن منشئيه العلم . وتلقت عن مبدعيه البيان

لايهمنى أصدق الاوربيون أن هذا هو الازهر ، ايمانا باغفالنا له وانصرافنا عنه . أم حسبوه مكانا غير هـذا المكان . ولو فى سماء الخيال . ظنامنهم أن المصريين أكرم من أن يهملوا مسجدا جامعا مثل هذا المسجد الجامع . وأجل من أن يغفلوا معهدا كهذا المعهد .

نعم لايهمنى ذلك . لانى لاأشـك فى أن هـذا هو الازهر . الذى نفتخر به . ونغضب له . وان كنا عنه معرضين

تدخل فى هذا المسجدالجامع . فلا يروقك فيه شيء أرض منخفضه

وسقف غير مرفوع . وأعمدة قصيرة . كأعمدة المقابر . وحيطان قائمة . كحيطان الاجداث . ونوافذ بخيلة بالضوء . ضنينة بالهواء . ومصابيح ضئيلة . لاتقتل الظلمة . ولا تكشف الغمة . وهو أحوج الى أكبر منها فى النهار المبصر . فكيف به فى الليل المظلم ! لافرش له الا الحصير الممزق والتراب المكدس . والناس فيه مابين آمل غير واجد . أو زارع غير حاصد . لاطمع لهم فى مناصب الحكومة . ولا أمل لهم فى اسعاد الامة وقد يئسوا من انصاف الوزراء . وانجاد الامراء .

ثم تراهم لايصدقون أن لهم شيوخا يعطفون عليهم ، أو رجالا يرأفون بهم ، فهم لايعرفون آباءغير آبائهم، ولا أعماماغير أعمامهم، وكذلك ينكرون جميعا قول الشاعر :

أقدم أستاذى على نفس والدى وان نالنى من والدى العز والشرف
فذاك مربى الروح والروح جوهر وهذا مربى الجسم والجسم كالصدف

انهم لايعرفون هذا الشعر ، لأن الشيخ الذى سلف ، والشيخ الذى خلف ، لم يرفعا عنهم شيئاً من الضر ، ولم يسوقا اليهم نوعا من الخير ، فهم اليوم مثلهم بالأمس ، أكثر شقاء وهما ، وأكبر عناء وغما ، لانهم يرون الناس فى تقدم ، ويرون أنفسهم فى تاخر ، ويرون المدارس يعمها العدل ، والأزهر يخصه الظلم ، ثم يرون لكل شهادة أثرا فى الحياة . وقيمة فى الوجود . ويرون شهادتهم ورقة لا كالورق . فهى مزينة . ولكن بالمواعيد الكاذبة . ومزخرفة . ولكن بالايمان الحانثة . حتى كأنها قطعة من معاهدة الصلح لايضمن لمن أنصفته سلام . ولا يرجى لمن نصرته قيام وحتى كأن مجلس المشيخة هو مجلس الشيوخ . وهم قد شبعوا من المجد

الموهوم . والشرف المعدوم . فما عادوا يصدقون بأن شهادة الاهاية . أو شهادة العالمية . حرز من الفقر . وأمان من الدهر

ثم هم فكروا طويلا فى انتسابهم الى الامة المصرية والسلالة العربية ولولا أن الاجانب يصفو عيشهم على ضفاف النيل . وفى سفح الاهرام لظنوا أنفسهم من الجاليات الاوربية . أو الامريكية

وقد بحثوا كذلك فى سبب شقائهم . ومصدر بلائهم . فلم يهتدوا الى موجب صحيح . أوداع معقول . اللهم الاحياء ظنه الناس من الجبن. وحلما حسبوه من الذلة . وهم لايستطيعون أن يرجعوا ذلك الى حبهم للوطن وعشقهم للحرية . وبغضهم للظلم .فان ذلك مشترك بين عامة الناس وشائع فى كافة الاجناس .

فلم يبق الا أن يكون الازهر شقيق الهم. وحليف الغم . لايدخله امرؤ الا تقوس ظهره . وتقوض عمره . ولا يفزع اليه فتى الا تزعزع كيانه، وتضعضع بنيانه

وهو بفضل اغفال الحكومة جدير بأن يقتل كل شاب تضمه جدرانه ، ويذهب بكل بصر ينظر فيه صفحة من كتاب ، أو فقرة من خطاب.وكذلك لن يزال ، بفضل الشيوخ ، مبعثاً لظلم العواطف ، وقتل المشاعر ، يقرأون فيه العلم ، فيتعرفون به الظلم ، ويتدارسون فيه أخبار الأسلاف ، فيئنون من جور الأخلاف

كانت مدة الدراسة فى الأزهر الذى وصفناه ، اثنى عشر عاما ،فرأت المشيخة أنها لاتكفى لتضييع العمر ، وتقويس الظهر فزادتها أعواما ثلاثة فصارت خمسة عشر

من هذا يشكو اخواننا طلبة الأقسام النظامية ، فى المعاهد الدينية ، وقد رأت لجنتنا الجديدة ، أن لا تنام لها عين ، ولا يهدأ لها قلب ، حتى ترجع المشيخة عن هذا القرار الظالم ، والله فى عون العبد ، مادام العبد فى عون أخيه

— ٢ —

ان طلاب الازهر لا يعرفون غير متاعب الحياة : فهم فى سنى الدراسة يعانون الآلام بين الكتب المعقدة ، والدروس المتعددة ، ثم اذا اجتازوا عقبات الامتحان . بعد العمر الطويل ، والهم الجزيل ، دخلوا فى حياة لا حظ لهم فيها غير حظ الاعزل من النصر ، فى ميدان كله رماح طوال ، وسيوف صقال . . . وهل بعد ذبول الأغصان ، وكلال الاجفان وتقوس الظهر ، وتقوض العمر ، غرض يرجى نواله ، أو هم يبتغى زواله

هؤلاء هم الأزهريون الذين كانوا يملأون البلاد علما وحكمة لو أتيح لهم التغلب على مصاعب النظام القديم والحديث . هؤلاء هم الازهريون الذين كانوا مادة الحياة العلمية فى عصر الظلمات ، وهم أصل النور فى هذا العهد الجديد ، هؤلاء الازهريون ينادون بملء أفواههم أن خذوا بيدنا ايها القائمون بالأمر ، فلا يستمع لهم أحد ! ولكن أيغلب اليأس الرجاء ويغدو الامل صريع القنوط ؟ ان هذا لبعيد

— ٣ —

نقول الان — وسنظل على هذا الرأى حتى حين — إن النبوغ الذى امتاز به بعض الازهريين فى الزمن القديم أو الحديث ، ليس أثراً من آثار الادارة التى تولاها زعماؤه الاقدمون او المحدثون ، ولكنه

أثر من آثار الذكاء الذى انفرد به بعض الشبان الذين هيأت لهم ظروف خاصة أن يخرجوا على التقاليد البالية . وان يشاركوا جمهور المبدعين فى العلم والأدب . وأن يتركوا لأنفسهم أثراً يذكرون به فى العالمين

فان كنت فى شك من صواب هـذا الرأى فاقرأ ان شئت تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده وانظر كيف تأثر بالتعاليم الحديثة حتى صار علما يهتدى به . أو احضر دروس الأستاذ الشيخ يوسف الدجوى لترى كيف استعان الفلسفة الحديثة . لفهم الفلسفة القديمـة . أو خالط النابغين من علماء الازهر الآن . فانك لن ترى نبوغهم مصبوغا بصبغة العلوم التى يتلقونها فى ذلك المعهد القديم . بل تراه مطبوعا بطابع الزمن الذى يعيشون فيه . والذى كان يجب أن يكون التعليم فى الازهر مصبوغا به ومطبوعا عليـه . لو وجد هـذا المعهد من يعني به من زعماء الاصلاح .

فى الأزهر الآن جماعة من عشاق النهوض ؛ تراهم اذا زرت الجامعة المصرية أومدرسة الازهر الفرنسوية ، تراهم فلا تشعر بغير الاعجاب بهم والاعظام لهم، ولـكنك تشعر بعد ذلك بكثير من الألم الممزوج بالاشفاق اذا قيل لك ان هؤلاء قد يحسبهم زملاؤهم وأشياخهم غير مهتدين ! !

وقد زعمت ليلى بأنى فاجر لنفسى تقاها أو عليها فجورها

هؤلاء الشواذ - فيما يرى بعض الشيوخ - هم زينة الازهر فى القديم والحديث ، وهم الذين اضطروا القائمين بالامر فى المعاهد الدينيـة الى أن يتأملوا قول على بن أبى طالب كرم الله وجهه « علموا ابناءكم فانهم خلقوا لزمان غير زمانـكم » وهم الذين تذهب نفسهم حسرات كلما رأوا وقوف

الازهر عند مبدئه العهيد ، وشهدوا الزمن يمشى بأهله الى ذرى المجد الشامخ ـ ألا إن التقدم حركة ، فويل للواقفين !

كل ما فى الازهر من علم وكل مافيه من أدب ، انما هو من آثار الذكاء الذى قبره الزمن فى تلك البقعة المحجوبة عن النور والضياء ، وليس لتلك الادارة المهدمة الجوانب غير ماتراه من عموم الجمود ، وشمول الخمود ! فمتى يبعث الله لهذا البيت العتيق من يأخذ بيده من تلك الهوة التى تردى فيها بفضل ما لأبنائه من عقوق؟ ومتى يتحقق الامل فى عشرين ألفا من الرجال قضى عليهم الجد العاثر والنجم الآفل أن يكونوا وقودا للهيب الهمجية ؟

اللهم غفرا ! ! يزهر العلم فى كل بلد ، ويتقدم أهله فى كل قطر ويكون حظ الازهر من بين جامعات العالم كحظ مصر من بين الامم . ثم يعيش الازهريون عيشة النائمين : لاهم أحياء فينتفعوا بما فى الكون من مظاهر الحياة . ولا هم أموات فيحظوا بما بعد الموت من نعيم !

تلك آمالنا قضى عليها الاهمال وهذى آلامنا يضاعفها اصرار (المصلحين) على دفننا أحياء فى تربة اليأس القاتل ، ولكنا سندفنهم بحول الله فيما ندفن من بقايا الخمول ! فهل أدلكم على سبيل النجاة أيها الرفاق المتألمون ؟

عليكم بالنظر فى كتب المتقدمين من الشرقيين ، والمتأخرين من الغربيين ، ثم اتركوا الحثالة التى جاءت بين هذين العهدين لحضرات الزاهدين فى التجديد ، إنكم ان فعلتم ذلك ظهرتم عليهم ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا

— ٤ —

لقد آن للأمة المصرية ان تنظر فى نظام الازهر وحياة الازهريين فانه لم يبق شىء من خرافات العصر المنصرم ، يوم كان الناس يظنون ان الازهر باب الرحمة ، ويوم كانوا يحسبون ان الجلوس فى حلقات العلم ضمان من الفقر وأمان من النار ، ويوم كان العامة ينسبون لشيخ الجامع حركات الافلاك ونظام الكواكب . كل ذلك قد تبدل . وأصبح الناس أمام أمر واقع : وهو أن الازهر معهد علمى يجب أن ينال من الانظمة النافعة ما يضمن له البقاء والثبات

جالس من شئت من العلماء ، وحادث من أردت من الطلاب ، فلن تجد غير اليأس القاتل ، والهم الشامل ، ولن ترى لهم من أمل فى غير الحياة الثانية وهم الذين خلقوا ليكونوا زينة الآخرة والاولى

هل تتفضل المشيخة الجليلة فترينا قائمة الأعمال التى أصلحت بها نظام الازهر فى العهد الاخير ؟ وهل يتفضل القائمون بالامر فيفصحوا لنا عن نياتهم فى الاصلاح المنشود ؟ وهل هم جماعة منهم بدرس نظام الجامعات . حتى يعرفوا ماهم عليه . وما يحتاجون اليه ؟ وهل راقبوا الله فى النفوس التى قضى عليها أن تكون تحت ادارتهم ؟ وهل فكروا فى نتائج التهاون الذى يرتعون فى أرجائه الفسيحة ؟ ثم هل آن لهم أن يعرفوا أن الازهر انما أنشىء ليكون مصدرا للسعادة . لا منبعا للشقاء ؟

أيروقكم أن نحسبكم مشغولين بما أسبغ الله عليكم من النعمة . كما يتحدث بذلك من يتأمل فى حاضر الازهر وماضيه ؟ فهل أنتم ناظرون فيما منى به هذا المعهد من التأخر والانحطاط ؟ وهل تبيض وجوهكم أمام الله وأمام

الناس وأمام التاريخ بما تعتزمون المضى فيه من الحاق الأزهر بالجامعات التى سامته فيما سلف حتى سمت عليه؟ وهل نجد فى المستقبل الباسم، ما ننسى به هذا الحاضر العابس ؟

لقد طفح الكيل . وأغرقت الأمانى فى بحور اليأس . وأصبح الأزهريون وكأنهم من أمة غير هذه الأمة . وقطر غير هذا القطر . وإلا فلماذا يحرمون وحدهم مما يتمتع به غيرهم من الامل الضاحك والعيش الوادع ؟

هذه كلمات نكتبها ونحن آسفون . وكنا نود لو أن شيوخنا أغنونا عن التفكير فى غير العلم . ولكنهم أرادوا أن لا نقرأ صحيفة فى كتاب إلا ونحن محزونون . وأن لا نخط سطرا فى صحيفة إلا ونحن متألمون !

فيارب هل إلا بك النصر يرتجى عليهم وهل إلا عليك المعول

— ٥ —

رغب المسيو فرناند فور الاستاذ بجامعة باريس ورئيس الجماعة التى استقدمت لامتحان الحقوق الفرنسويه بمصر أن يزور الازهر الشريف فسألنى حضرة أستاذى المسيو بابانى المحامى أن أرافقه فى هذه الزيارة فقبلت ذلك . واقترحت تأخير الزيارة أسبوعا حتى يعود الطلبة الى الدروس وكانوا إذ ذاك فى مسامحة المولد النبوى . وحددنا للزيارة يوم ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٢٠ فى اليوم الثانى من عودة الدراسة . وكنت أظن أن الدروس ان لم تكن تكاملت فى اليوم الاول فلا بد أن تتكامل فى اليوم الثانى ولكن خاب هذا الأمل وتبين أن الازهر لايزال مطلق العنان وأن الطلبة الى الكسل مخلدون !

دخلنا الازهر بعد الظهر . ثم مشينا معا بعد ان تبودلت التحيات بين القادمين والمستقبلين . وكنت عزمت أن أتأمل نظرات هؤلاء الزائرين لهذا البيت العتيق . عسانى أعرف مانحن عليه . ومانحن فى حاجة اليه ، ولكنى لم أمش بضع خطوات حتى خيل إلى ان هذا المعهد بقية من بقايا العصور الذواهب . وأنه يجب على أن أفهم هؤلاء الناس ان الجامع الذى يجوسون خلاله ليس معهدا للعلم . ولا مسجدا للصلاة ولكنه طرفة عادية (انتيكه) يؤمها المتشوفون لآثار الزمان الغابر !

وما ظنك أيها القارىء بمسجد ليس فيه من الحصير مايقى الجالسين عنت الرطوبة التى تكمن فى مثل هذا المكان الذى ينخفض عن الشارع مترين فى بعض نواحيه؟ وماذا عسى أن أجيب به هؤلاء الزائرين اذاقال قائلهم : مابال طلبة العلم عندكم يجلسون على الحجر العارى من الغطاء ؟ وكيف أصبر على نظراتهم الى الطلبة الذين يتململون من قسوة المكان الذى يجلسون فيه ساعات وهو قاتل ؟

وكم تمنيت وقتئذ لو أن أعضاء المجلس الاعلى للازهر والمعاهد الدينية حضروا هذه الزيارة الجميلة ، ليشرحوا لهؤلاء الاجانب السبب فى جعل الازهر مقبرة لطائفة كبيرة من الطلاب : ولعل منهم من درس فى الجامعات الاوروبية او الامريكية ورأى فى أبهة تلك الجامعات ما يصرف الطلبة عن العلم الصحيح ! فيبين للزائرين فضل الخشونة على العلم ! ويكشف الغطاء عن الصلة بين الظلمة التى تغشى جوانب الازهر وبين نور العلم الذى يهديه للناس ! !

هاتوا شبابى أيها الرؤساء . فقد ذهبت به أيام الازهر السوداء !

هاتوا أملى فقد ذوت أغصانه فى ذلك البيت العتيق !

كانت هذه الخطرات تمرح فى ثنيات نفسى وأنا أصحب أولئك الزائرين . وكنت كلما غلب على الخجل لبعض دلائل الاهمال ، أرفع بصرى اليهم وأقول بصوت خافت « لقد فكر أولو الامر فى إصلاح الازهر وسيفرشونه بالابسطة الفارسية بعد حين ! » غير أن هؤلاء الفرنسويين على جانب عظيم من أدب الخطاب فكانوا يقولون : « إن التجهم الذى يستقبل به الازهر زائريه قطعة من جماله : لانه يمثل عهدا من عهود التاريخ »

مرحى مرحى ! يسركم منظر الازهر لانكم ترون فيه مظهراً من مظاهر الحضارة القديمة ، وما يضيركم لو أصبح الشرق كله رواية تاريخية تقرؤون حديثها فى كتب الغرب . وتنظرون أشخاصها فى مصر وفى فارس !!

— ٦ —

وان تعجب فعجب قول بعض الازهريين : اجتهد فى أن تفهمهم أن الازهر أقدم جامعة علمية . الا فلتطمئنوا من هذه الناحية ـ فقد أفهمتهم ان الحضارة الشرقية أصل للحضارة الغربية ، وأن الازهر مصدر العلم الذى ينعمون به الآن .. ولكن هل أستطيع أن أقول لهم : ان نظام الازهر خير من نظام السوربون ، وان الحصير الممزق الذى يجلس عليه الطلبة هنا خير من الارائك التى تتكئون عليها هناك ، وان الاحجار المنثورة حول الازهر يتعثر فيها الطلبة فى الغدو والرواح ، أجمل من الحدائق المحدقة بالسوربون يشم شذاها الطلبة فى الضحى والاصيل ، وان الكتب المملوءة بالاغلاط والتى ترد البصر وهو حسير ، أنفع من الكتب

المتعة النفيسة التى يقرأها الفرنسيون ؟ وهل أستطيع ان أقول : ان جامعة الازهر فى بؤسها الشامل ، خير من جامعة باريس فى نعيمها السابل ! ؟

حقاً ان فينا من يقنع من المجد بالطلل الدارس ، والرسم الطامس وفينا من يرضى باللفظ وان باد معناه ، ويقنع بالاسم وان ضاع مسماه ! فيارحمة الله لهذه الامة الآفلة النجم العازبة الحلم ! !

— ٧ —

مشينا ننظر ذات اليمين وذات الشمال ، لنتبين فى وجوه الطلاب دلائل الجد والنشاط ، وأنا أعلم انه ليس للطالب الازهرى مثيل فى صبره على أعباء الحياة العلمية . وكذلك راقنا منظر أولئك الجادين فى البحث والتنقيب . وسرنى أن ليس لهؤلاء الفرنسويين معرفة باللغة العربية حتى لا يصح لديهم ان الكتب التى بأيدى الطلاب تماثل مافى شكل الازهر من الغلظة والجفاء !

ولقد بدا لنا أن نزور دار الكتب الازهرية . وكانت الساعة لم تصل الى النصف بعد الظهر . ففوجئنا بان المكتبة أغلقت . وأن لاسبيل الى زيارتها الا فى ضحى الغد ؛ فأخذت أفكر فى أمر هذه المكتبة التى لا يتمتع بها أحد من الناس . والتى تشبه دار الآثار فى أن لاحظ لاحد منها الا ان ينظر ما اشتملت عليه بدون ان تنالها يمناه ! أستغفر الله ! بل تشبه الرسوم الدوارس . ليس للمرء من حظ الا ان يعرج عليها فى الغدو والرواح !

— ٨ —

عدنا فى اليوم الثانى مبكرين لزيارة المكتبة الازهرية . فدخل

الزائرون وهم يتحرقون شوقا الى الوقوف على حركة التأليف عند العلماء وأخذوا يسألون عن الكتب القديمة والمؤلفات الحديثة . فقلنا لهم ان هذه المصنفات يغلب عليها القدم الا بعضاً منها مثل كتاب التوحيد للاستاذ الشيخ حسين والى ولكن الازهريين لايعرفون شيئا عنه لأنه فى رأيهم قد خلص المسائل العلمية من المناقشات اللفظية وهم لا يزالون مضطرين الى طرائق البحث القديمة ليجتازوا الامتحان !

وهنا أكل اليك أيها القارىء وصف مايجده مثلى من الخجل فى مثل هذا الموقف فقد تعرف ان الفرنسويين يعدون الكتاب قديما اذا مرت عليه ست سنوات وهم لايرضون عن العالم الا اذا ترك ثروة علمية . فأما علماء الازهر فقلما يعنون بالتأليف . وكذلك كانت المكتبة خالية من كل مايصل بين الماضى والحاضر !

— ٩ —

كنت رأيت ان لاأتم وصف زيارة أولئك الفرنسويين للازهر الشريف مجاراة لمن يرون فى هذا الوصف خروجاً على الادب ومروقا من الوفاء . لولا أن لقينى بعض العلماء وشرح لى ما فى التغاضى عن النقد من الفساد العاجل والكساد الآجل . ورغب فى ان أذكر هذه الزيارة بالتفصيل . وأنا أذكر هنا ملاحظة واحدة . وأعتذر عن البقية . فان النفوس لم تتهيأ بعد لأن تتقبل كل ماينفع : وتتجنب كل مايضر وخذ من جذع ما أعطاك !

كان هؤلاء الناس يسألون برفق عما لم يهتدوا الى فهم معناه . ولقد تعرف أن كل مافى الازهر يستوقف النظر حتى كأنه كتلة من ألغاز

الحياة لايفهمها الا من كتب عليه أن يكون جزءا متصلا بهذه الجماعة التى تتكون منها مجموعة الشقاء وكذلك كنت أعرف مواقع الالم من نفوس الازهريين ، ومواضع العجب من أفكار الفرنسويين ، لان التنافر ظاهر بين معاهد العلم هنا وهناك ، ولانى أعرف الفرق بين حياتين تتفجر من احداهما ينابيع الامل الباسم ، والعيش الوادع . وتثور من اخراهما براكين اليأس والقنوط ! !

• مامررنا بدرس من تلك الدروس إلا وجدنا من بين الطلبة من هجم على رأسه الشيب وانقض على ظهره التقوس . وآذن نجم شبابه بالافول : ويكاد المسيو فور يتبين بيده مارأت عيناه ثم يقبل على ويقول:

أصحيح ماأرى من أن ثلث الازهريين فارقوا سواد الشباب ؟ وهل تجدب أرض العلم عندكم حتى يشيب المرء وهو ينتظر الازهار والاثمار ؟ ومتى يخلص هؤلاء من التحصيل حتى يفرغوا لتعليم الجهال ؟

كان يقدم الى هذه الاسئلة وهو يبتسم ، فبدالى ان أنشده قول ابن الرومى

شاب رأسى ولات حين مشيب وعجيب الزمان غير عجيب
قد يشيب الفتى وليس عجيبا ان يرى النور فى القضيب الرطيب

فأخذ يحاورنى ويقول : انى لاأشك فى أن فيهم من جاوز السبعين ، فأقسمت بالله جهد يمينى أنهم شباب ، وان نظام الازهر هو الذى عجل لهم المشيب ! ثم هممت أن أذكر له الحديث (اطلبوا العلم من المهد الى اللحد) ولكنى لم أشأ أن أدله على أن نظام الازهر مما يرضى عنه الله ورسوله . والا كنت من الخاطئين !

تلكم هى حالنا أيها السادة العلماء . وهذا هو حظنا ايها الاخوة الطلاب ، فهل فيكم من فتى نغالب به هذه الشدائد ، ونصارع بعزمه تلك النوائب ، وهل يسمع القائمون بالأمر هذا الصوت الذى بح من طول النداء ؟ ؟

القلب الذاهب

رويدك أيها القلب   فقد اودى بك الحب
وقد أصبحت لاتسلو   فلو أصبحت لاتصبو
وبين القلب والعين   سجالا كانت الحرب
فتذكيه ويبكيها   لعمرك انه خطب
لقد أسرفت فى حبى   كذلك يفعل الصب
واصفيت الهوى حبا   له من دله حجب
فمنه الصد والبعد   ومنى العفو والقرب
فلو عاتبته يوما   لزاد عناده العتب
وقد راسلته جهدى   فضاعت عنده الكتب
فصبرا ايها القلب   على مايفعل الحب
فكل مدله خل   وكل معشق خب
فكن ياسيدى برا   بصب ماله ذنب
لئن ضيعتنى قلبى   فانت الروح والقلب
وان آثرت ابعادى   ولم يشفع لى الحب
فان عقابكم عدل   وان عذابكم عذب

امراضنا الاجتماعية

رضى

نادى العفاف

فى كل يوم تتألف جماعة . وتتفرق جماعة . والقوم عندنا لا يجتمعون الا اذا كرثهم ضائقة مالية أو نضب لديهم معين الثراء فأما اذا انفرط عقد الاخلاق وتمزق ثوب الشرف وجف ماء الفضيلة ، وغربت شمس المكارم وشاب رأس الوقار فانهم قلما يحفلون بما يلحق الامة من خزى الرذيلة ودنس الغواية . وكذلك يعني ساداتنا وكبراؤنا بما يملأ الجيوب . ويغفلون عما يملأ الرءوس علما والقلوب حلما

وبعد فهل سمعت أن فضيلة الشيخ يوسف الدجوى فكر فى انشاء نادي يسمي (نادى العفاف) فى اكتوبر سنة ١٩٢٠ ؟ أؤكد لك أنه كان شىء من ذلك ! ولكن أين هو وأين آثاره ؟ فاذا كان الشيخ الدجوى فى علمه وأدبه وتقاه يقول ولا يفعل فعلى الدنيا العفاء ! !

أطباء الشعب

جلس جماعة يسمرون فى بعض الاندية ، وكان فيهم فتى يشكو ألما فى الامعاء ، فبدا لهم أن يسألوه عما يتلوى منه فى اكثر اللحظات . فرأى ان يسألهم هو عن طبيب يصف له . وجها لوجه : ما يقاسيه من علة وما يعانيه من بلاء ! !

قال قائل منهم : لو ذهبت الى الدكتور فلان لاستأصل منك الداء

وقال آخر بل الدكتور فلان أبصر بمواقع الادواء . قال ثالث فلان خير منهما جميعا لأنه فضلا عن مساواته لهم فى الخبرة والكفاءة يمتاز بالتساهل فى تقدير متاعب العلاج اذ لا يطالب أكثر من أربعين جنيها فى العملية الجراحية وقد يتسامح فيقبل من الفقير خمسة وثلاثين! فاما صاحب العزة فلان فانه يأخذ جنيها فى كلمة يفوه بها جوابا على سؤال المريض وقد لا يرضيه الاجر بعد ذلك فيرفض محاربة الداء ! !

قال صاحبنا وهو يكاد يتميز من الغيظ : ويحكم ! لست أسأل عن هؤلاء انما أسأل عن أطباء الشعب. أما من ذكرتم فهم اطباء العائلات ! قال بعض الحاضرين يبدو من هذا الفرق فى الوصف أنك خبير بطبقات الاطباء قال المسكين : لا والله ! ولكن سمعت جودت بك يقول لرفيقه فهمى بك ارسل لى طبيبكم الخاص فقد طردنا طبيبنا بالامس ! فعلمت ان هناك أطباء يطردون كما يطرد الخدم ، وغلب على ظنى أنهم من هذا الصنف الذى تقولون انه (غالى جدا) فى تقدير متاعب العلاج . فأما أطباء الشعب فهم أمثال حضرة الدكتور محمد عبد الحي الذى يعالج العمال مجانا ويمشى بنفسه لاسعاف الفقراء

حبر على ورق

تسمع أن فى مصر أندية ، فيبدو لك أن تؤم واحدا من تلك الينابيع التى يتفجر منها العلم والأدب ، فلا يكاد يطمئن بك المجلس حتى تعرف ان ليس فيها غير اللهو واللعب . فاذا سألت : ألا توجد محاضرات عامة فى الادب والاخلاق ؟ نظر اليك السكرتير نظرة مريبة ثم قال : كيف لا وهذا قانون النادى يحتم على المنتدبين القاء الخطب والمحاضرات فى

الآداب والفنون . ثم رجع يقدم لك لائحة فيها ما تشتهى الانفس من نوازع الآمال وخواطر الامانى؛ فتعلم أن النادى يقول مالا يفعل ويكتب مالا يقول ! !

وكذلك الحال فى الازهر الشريف (قانون مطبوع على ورق أبيض صقيل . ومواد منظمة كأسنان المشط . وآمال طوال عراض . وحقوق وواجبات . وعقوبات ومكافآت . وارشادات وملاحظات ومذكرات وتقريرات .)

ثم تبحث عن ثمرة ذلك كله فى نفوس الطلبة والعلماء فلا تجد شيئاً !!

التطور الحديث

الابن : ان هذا النادى المختلط مما يقضى به التطور الحديث

الاب : أو كلما جن الاجانب فى اللهو والفسوق فصار أحدهم (كالطور) لا يميز بين الضار والنافع جاريتموهم أنتم فى هذا (التطور)

الابن : لا تكن يا أبت أضحوكة الضاحك وسخرية الساخر !! هاأنذا أشرح لك معنى التطور فى كلمة وجيزة : كان الناس فيما سلف لا يتحولون عما فطروا عليه ولا يخالفون عن أمر الدين والاخلاق . وهذا هو طور الجمود ثم خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلوات واتبعوا الشهوات ، ولهم مع ذلك آمال عظام كالتفوق على الغربيين فى الالعاب الرياضية ، وهذا بالطبع مما يقربنا من الاستقلال ؛ فأنا لا أشك فى أنك سمعت أن الاجانب يرموننا بالجمود، والتعصب، ولا سبب لذلك غير الوقوف عندحد الشرع وعدم النزول فى ميدان الحياة التي تتطلب شيئا من الوقار وأشياء من المجون ؛ وهذا ضرورى فى تكوين الامم ، ولو أن حضرة

الوالد عرف كيف كان نبذ القديم سببا فى نهوض الامم الغربية لأقرنا على هذا التجديد ! !

الأب — تشربون الخمر فى النادى وقد نهى عنها القرآن وتلابسون فيه الغادات والغلمان ، وتسرفون فى الغواية حتى تعودوا كالأنعام او أضل سبيلا ، وتصرون مع ذلك على الانتساب الى آدم وحواء — كلا . ثم كلا ليس للتطور معنى الا أنكم أطوار !

الأبن — هناك فرق يا أبت بين كلمة أطوار ، وكلمة تيران ، ويظهر أن حضرتك تريد . .

الاب — اخرس ! اخرس ! « ثم انصرف وهو محزون »

كلام شرف

فى هذا البلد طائفة من أرباب الصناعات تود الانسانية لو أناخ الدهر عليها بكلكله فعادوا هشيما تذروه الرياح حتى لا يدنس الشرف المصرى بما ينقضون من عهود ويخلفون من وعود !

تنظر الى ثوبك فتراه وقد آذنت أيامه بالرحيل . فتذهب الى تاجر مصرى لتشترى منه قطعة من القماش تتقى بها البرد فيقسم بالله والوطن أنه يرضى منك بالربح القليل حتى اذا نزلت على حكمه أرهقك بالثمن الذى يفزع منه جيبك وتفرق منه دراهمك المعدودة ! فاذا قلت له هذا اسراف قال لك : كلام شرف ! ليس لى من ربح فيما بعته إياك ! ثم تذهب الى الخياط فيعدك بلبسه بعد أسبوع فتقول أرجو أن لا تهمل فان البرد شديد ! فيقول لك كلام شرف ! فتعود بعد الاسبوع فيقول لك تعال فى الغد . فاذا نظرت اليه نظرة عتب قال لك من جديد « كلام شرف » فتعود فى اليوم

التالى فيقول تعال بعد ساعة فاذا غضبت قابل الغضب بمثله وهو يقول «نحن أناس لنا ذمه» !!

تبحث مسألة . أو تضم كلمة الى كلمة ، فيبدو لك ان تطبعها فى أحذى المطابع ، فلا تدخل على مدير المطبعة حتى يبدأك بالتأفف من اختلال الأنظمة الاجتماعية قبل أن تبدأه بالتحية ، فيصح لديك ان هذا رجل أمين ، ويؤكد ذلك «لطفه» فى تحديد الموعد وتقدير النفقات ، ثم تعود بعد حلول الاجل فيتفضل عليك بوعد جديد ،فاذا قلت أخشى المطل قال لك (كلام شرف) ثم يخلف ، ثم تعود الى تأنيبه فيدافعك وهو يصيح (كلام شرف)

يأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون؟ كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون !

ظالم يتظلم

رمانا الدهر — فيما رمانا به — بقوم يحبون أن يملؤا الدنيا صخباوشغبا وعذرهم فى ذلك انهم يحبون الصراحة ويقدسون القول الصريح. ويسمون هذا بالنقد. واذا اراد امرؤ ان يتوجه اليهم ولو بكلمة نصح استنكروها منه وعدوها مناوأة وحبا للشخصية !! فاذا قلت إنى لم أخرج عن الدائرة التى أبحتم لأنفسكم العمل فيما تحتويه ؟ قالوا ليس لك أن تعمل كما نعمل فاننا نخدم المصلحة العامة وأنت تخدم المصلحة الخاصة ! فان قلت إنى أيضاً أعمل للمصلحة العامة ، هموا بأن يخرجوا من ثيابهم ، وقالوا إنما أنت من أوساط الناس ، وانما يعمل للمصلحة العامة أصحاب المصالح فى البلد أمثال سعادة فلان وفلان ! فاذاقلت لهم إنكم تدورون حول المصلحة الخاصة

من حيث لا تشعرون لووا عنك وجوههم وأصروا واستكبروا استكبارا عجيب أمر هؤلاء، لا يعملون ولا يتركون الناس يعملون: يبسطون ألسنتهم فيمن هم أطهر منهم ذمة. ثم اذا لمح اليهم كاتب ببعض سيئاتهم القديمة تدرعوا بسيئاتهم الحديثة! فيا عجبا هل يستر القار بالقار أو يكشف الظلام بالظلام؟

تحية!

تجمل بالسماح ودع ملامى ... وكن عون المحب المستهام
ففى (أسيوط) لو تدرى حبيب ... هجرت لبعده طيب المنام
أسيت له يحن الى لقائى ... ودون مرامه كيد اللئام
اذا ما الليل جن ونام صحبى ... مشت نار التذكر فى عظامى
سلام أيها النائى سلام ... وهل يغنى عن اللقيا سلامى

لوعة!

لاصبحت نهب الاسى والحزن ... لجسم أقام وقلب ظعن
فياويحهم يزمعون الرحيل ... وما زودونى سواء الشجن
دموع تحدر فوق الخدود ... كصوب الغمام اذا ماهتن
وقلب يقلب بين الضلوع ... بعيد القرار فقيد السكن
وأصبحت والرأس مرعى المشيب ... قليل السرور كثير الحزن
لعمرى لئن شبت قبل الاوان ... لقد شاب حظى وشاب الزمن
كأن الشعور عراها البياض ... سهام الردى أو خيوط الكفن
وأنكى عدوك فى النائبات ... عدو تقاصر عنه الجنن
وان الشباب اذا ما انقضى ... لكالحلم أقلع عنه الوسن

ليالى الاعتقال

حضرة الأخ أنيس افندى ميخائيل

وصل خطابك البديع ، بعد عشرين يوما قضاها تحت أثقال الرقابة ولم يصلنى قبله فى معتقل (سيدى بشر) غير خطاب الأخ الشيخ عبد المجيد زهران ، فما أوفاه ياصديقى وما أوفاك !

سأضرب صفحا عن الدمعة التى سكبتها على القرطاس ، لأن مثلى لايبكى له ، ولا يبكى عليه ،وإنما خلقت لأكون مثلا فى الشمم والأدباء ولو كان بى حب الدعة والطمأنينة لما مكثت فى المعتقل هذه الشهور الطوال فقد فكر القوم فى مساومتى لأول لحظة وطئت فيها ثكنة قصر النيل. ولكننى أقذيت عيونهم . حين أريتهم كيف يطيب الشقاء فى سبيل البلاد . وأقسم لو سلم المصريون جميعاً وخرج مصطفى كامل من قبره فصافح الانجليز لما كان فى ذلك مايزحزحنى قيد أنملة عن معاداتهم حتى يكون الجلاء . وأعيذك أن تحسب أن جلاءهم عن مصر إن تم ونحن أحياء ينسينا مافعلوا بنا وبأهلينا منذ كان الاحتلال !

أترك ذلك . وأحدثك عما يجول بصدرى فى هذه الظلمات . انا حزين ياأنيس ! وكيف لاأحزن وفى المعتقلين أنفسهم أنصار لمشروع ملنر الذى يعرضه الآن أعضاء الوفد بين التصفيق والهتاف ! ياويلتاه ! حتى المعتقلين المعذبين يصدقون بأن انجلترة منحتهم الاستقلال !! متى تتم هذه الأعوبه فأخرج من بين هذه الأسلاك لأساعد الحزب الوطنى فى الغارة الشعواء التى شنها على أولئك الشياطين الذين مكنتهم الليالى

من ناصية هذا الشعب الوديع !

ليست انجلتره هى العدو الوحيد للأمة المصرية . بل هناك عدو آخر لا يزال يبطش بالأمة غير وان ولا راحم . ألا وهو الجهل ! هذاهو العدو اللدود الذى تستعين به انجلتره لاغتصاب وادى النيل . ولولاه لما رحب المرحبون بأعضاء الوفد حين جاؤا لعرض مشروع ملنر . بل لولاه لحقت على هؤلاء كلمة العذاب ! وسأعرف ما أصنع حين أعود الى القاهرة ولو بعد حين . سأعرف كيف أحارب الجهل . وكيف أصب الصواعق على رءوس من يستغلون جهل الأمة فينالون به مالهم من سيئ الاغراض ، ومنكر الشهوات ، والله بصير بما يعملون

تسألنى عن ليالى الاعتقال ، وأجيبك بأنها ليال سوداء ، لافرق بين أنصافها والسرار ، ويكفى أن أذكرك أن هذه الليلة ليلة العيد ، ومنذ لحظة كان الاستاذ الشيخ عبد الباقى سرور يبتسم ويقول : لقد استرحت هذه الليلة من أولادى ، فما يفك عمامتى أحد . ولا يضحك من صلاتى إنسان .

وكان الشيخ محمد يوسف يرفأ قميصه وهو ينشد قول ابن الاحنف :

رحمتا للغريب بالبلد النا زح ماذا بنفسه صنعا
فارق أحبابه فما انتفعوا بالعيش من بعده وما انتفعا

وكان الشيخ شافعى البنا يلاعب الشمعة وهو يتغنى بقول المتنبى :

عيد بأية حال عدت ياعيد بما مضى أم لأمر فيك تجديد
أما الاحبة فالبيداء دونهمو فليت دونك بيدا دونها بيد

أما أنا فكنت أترنم بقولى :

ليالى النيل واللذات ذاهبة وجدى عليكن أشجانى فأضنانى

لو يرجع الدهر لى منكن واحدة   فى سنتريس ويدنى بعض خلانى
اذاً تبين دهرى كيف يرحمنى   من ظلم همى ومن عدوان أحزانى

وبمناسبة سنتريس أذكر أنى أرسلت خطابا للاخ الشيخ احمد الدكرورى أصف به شوقى الى مغانى ذلك البلد الجميل ، أين أنا من سنتريس؟ وأين منى سنتريس ؟

بلد صحبت به الشبيبة والصبا   ولبست ثوب اللهو وهو جديد
فاذا تمثل فى الضمير رأيته   وعليه أغصان الشباب تميد

حسبك هذا يا أنيس ، ولا تنس أن تزور الشيخ عبد العزيز صقر وأن تكاتب الاخ العزيز محمد افندى محمود حسين ، فأما الشيخ على مبارك فسأعرف كيف أناقشه الحساب !

وأعود الى الثورة الخطيرة التى تشب فى جوانحى كلما فكرت فيما يعمل الانكليز لقهر الامة المصرية . لبيك يامصر ! لن تموتى ونحن أحياء!

(ملحوظة) : لاتذكر لأحد كيف وصلك هذا الخطاب فتشتد الرقابة على المعتقلين المعذبين !

حرقة ولوعة

أنت الذى علمتنى   يا سيدى بر الصديق
وتركتنى فى فتية   ما فيهمو بر رفيق
لم ألق بعدك منهمو   الا الجفاء أو العقوق
حتى كأنى لم أبت   منهم على عهد وثيق
وكأنهم لم يبصروا   فى خلقى الحر الصدوق

فنسوا هواى ولم يفق		من ودهم قلبى المشوق
ونسوا طريف حديثنا		عند الصبوح أو الغبوق
ليت الهوى ماقادنى		يوما الى ذاك الطريق
او ليتنى لم أنخدع		جهلا بهاتيك البروق
بل ليتنى بعد الذى		عانيت من صحبى أفيق

* * *

مولاى لو ابصرتنى		لفزعت من دمعي الطليق
وشجاك جسمى ناحلا		وكأنه الطيف الطروق
أشكو اليك وانما		يشكو المضيم الى الشفيق
فارحم فديتك مهجة		أودى بها الحزن العميق
حزن يقطع فى الحشا		فكأنه غدر الصديق
ياويح قلبى لم يزل		يهفو به الروح الخفوق
وتقوده الذكرى الى		عهد الهوى الغض الرفيق
أيام نمرح فى الصبا		فى ذلك العيش الانيق
أيام نسقى فى الهوى		والود كائسا من رحيق
تلك الليالى لم تدع		من بعدها حسنا يروق
كلا ولا خلت لنا		الا الزفير أو الشهيق

* * *

مع الصورة

ولما عزنى فى الحب دهرى		وأرغمنى الزمان على نزوحى
ولم أعرف لرؤيتكم سبيلا		بعثت بصورتى من بعد روحى

ظلم العواطف

قيل لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود : أتقول الشعر فى فقهك وورعك؟ فقال لا بد للمصدور أن ينفث . وكان عبيد الله من وجوه الفقهاء الذين روى عنهم الفقه والحديث . وهو أحد الفقهاء السبعة من أهل المدينة . ومن شعره

شققت القلب ثم ذررت فيه هواك فليم فالتأم الفطور
تغلغل حب عثمة فى فؤادى فباديه مع الخافى يسير
تغلغل حيث لم يبلغ شراب ولا حزن ولم يبلغ سرور

إن الناس يجلون الفقهاء عن قول الشعر ولاسيما النسيب - ويرون بعدهم عنه . وبراءتهم منه من متممات فضلهم ومكملات مجدهم . وكان ذلك ظلما للعواطف . وقتلا للشعور فان لبعض أولئك قلوبا نزاعة الى الحسن . ونفوسا عشاقة للجمال . ومنهم من قضى نحبه . ومنهم من ينتظر وما جنحوا الى السلوان

ولئن خرج عبيد الله على الجفاة من معاصريه . فقال فى الغزل ماقال فانى لأحسبه كتمنا كثيرا من شجونه . وضن على الشعر بمكنون صدره مداراة للعامة من جيرته . والسذج من عارفيه . فان الخوف من صغار العقول . والهرب من ثرثرة السفلة . لم يسلم منه نابه . فى عصر من العصور أو قطر من الاقطار

ان الأبيات القلائل التى نقلها الرواة الينا من شعر عبيد الله لتحدث عن صبابة وتسفر عن غرام . ولو أن الرجل أوتى من قوة الارادة وشجاعة

الفؤاد. مايشرح به هواه ويمثل به خواطره لكان له من المواقف الحسان والمشاهد المبجلة ما يضمن له الخلود فى الشعر الوجدانى من عالم الآداب

إن ظلم العواطف حرمنا كثيراً من نفثات الشعراء . وجعلنا نتصيد طرائف الشعر الوجدانى من هنا وهناك . ثم لا نجد ماينقع الغلة . ويشفى النفس . لما فى أكثره من التلون المذهب للعاطفة . المميت للشعور

ولو أن ذلك كان وقفاً على الفقهاء لتجملهم بالزهد. أو النساء لتحليهن بالعفاف . لهان الامر وسهل . ولكننا وجدنا فى أشهر الشعراء بالظرف وأعرفهم بالخلاعة من يمنون بالنهاة من أهلهم . فينزلون عند حكمهم ويصدعون بأمرهم فيتناسون الهوى . ويصدفون عن الغرام

هذا عمر بن أبى ربيعة . كان من أجرأ الناس على إذاعة هواه وأبعدهم صيتاً فى الغواية . وطاعة الشباب . ثم مابرح أخوه الحارث يعظه وينهاه. حتى كان من ذلك أن أعطاه الف دينار على أن لا يقول شعرا فقال « أما ما دمت بمكة فلا أقدر ولكنى أخرج الى اليمن » فلما سار الى هناك لم تدعه نفسه وقول الشعر . فقال :

هيهات من أمة الوهاب منزلنا — اذا حللنا بسيف البحر من عدن
واحتل أهلك أجياداً فليس لنا — الا التذكر أو حظ من الحزن
لادارکم دارنا یاوهب ان نزحت — نواك عنا ولا أوطانكم وطنى
ياوهب إنيك قدشط البعادبكم — وفرق الشمل مناصرف ذا الزمن
فكم وكم من حديث قدخلوت به — فى مسمع منكمو أومنظر حسن
بل مانسيت ببطن الخيف موقفها — وموقفى وكلانا ثم ذو شجن
وقولها للثريا يوم ذى خشب — والدمع منها على الخدين ذو سنن

بالله قولى له فى غير معتبة   ماذا أردت بطول المكث فى يمن
ان كنت حاولت دنيا أو نعمت بها   فما أخذت بترك الحج من ثمن

ويذكرون أن أخاه لما سمع هذا الشعر يئس من صلاحه وقال : قد فتك أخى وغدر

والذى أراه أن عمر بن أبى ربيعة ، ما كان له أن يذهب الى اليمن ، دفعا للوم أخيه فحسب . فان الرجل طالما نهاه النهاة فلم ينته ولم يرجع . وكان بينه وبين أخيه ما يشعر بتهاونه بنصحه . وسخريته من عذله . بدليل ما يذكرون من أخذه الف دينار من أخيه . فى حين أنه كان من اكثر الناس مالا ووفرا . واعظمهم تيها وكبرا . ولكن الرجل كان يحاول ان يتناسى صبابته . ويتغاضى عن هواه . حتى كان من أمره ان حلف لا يقول بيتا من الشعر الا أعتق رقبة . نهياً للنفس عن الهوى . وكبحا لها عن الغواية وكان من المسرفين

فر ابن أبى ربيعة الى اليمن ليبعد عن ملعب صباه . ومرتع شبابه . فيودع بذلك الشعر . ويسرح النسيب : ثم غلب على أمره فقال نونيته السالفة . طوعا لأمر الفؤاد

كان ابن أبى ربيعة من أصبح الناس وجها . وكان عشقه شبيهاً بعشق الملوك : لتهافت الغوانى عليه . والتفاف النساء حوله فكان شعره لذلك ضائعاً بين الاوصاف الظاهرة . والمحاسن البادية . فلا ترى له حسرة على فائت . ولا لهفة على مأمول . فلما صوح شبابه . وحان منه التذكر . نضب معين شعره . وتهدجت صبابته . برا بذلك القسم . ونزولا عند حكم المشيب . فكان نصيبه من الشعر الوجدانى ضئيلا . لما ظلم عاطفته . وعق

وجدانه . وكان من القاسطين

أنا لا أبخس ابن أبى ربيعة حظه من الشعر الوجدانى ولا أبعد ان يكون فى ديوانه من هـذا النوع شىء كثير . ولـكننى أقول ان الرجل الذى يبهر الناس شعره فى مجـالس الانس . ويروقهم حديثه عن اللهو واللعب . لجدير ان يقرح أجفانهم . ويفتتت أكبادهم . لو بكى عهوده السوالف ومعاهده المقفرات

ولـكن أبى الجد العاثر الا أن توضع هذه الاغلال فى أعناق الشعراء فيمسون كالبلابل الموثقة الحبيسة : لا تستطيع التغريد ، ولا تملك الترجيع

وماعسى أن يكون حزن بشار وبثه ، وقد نهاه المهدى عن التشبيب ، وحال بينه وبين مايشتهى من الغزل ، ومداعبة النساء .

وانى ذاكر لك مثالا مختاراً من شعره فيما يتعلق بالعواطف ، ويختص بالوجدان ، حتى تعرف أى خطب ألم بالشعر الوجدانى ، فأصبح ضئيلا فى شعر هذا الرجل الـكبير . قال :

أيها الساقيان صبا شرابى ... واسقيانى من ريق بيضاء رود
إن دائى الظما وإن شفائى ... شربة من رضاب ثغر برود
ولها مبسم كغـر الاقاحى ... وحديث كالوشى وشى البرود
نزلت فى السواد من حبة القلـ ... ـب ونالت زيادة المستزيد
ثم قالت نلقاك بعد ليال ... والليـالى يباين كل جـديد
عندها الصبر عن لقاى وعندى ... زفرات يأكلن قلب الحديد
لا أبالى من ضن عنى بوصل ... إن قضى الله منك لى يوم جود

فانك لتبصر من خـلال هـذا الشعر . رجلا صادق الحب . متين

الصبابة ، ألح عليه ساقياه بالراح ، فتعفف عنها ، لا زهدا فيها . ولا نفورا منها . ولكن ذكرى حارة . ولوعات دخيلة . هاجت بصدره . وثارت بلبه . إذ ذكر صهباء الثغر ممن يهوى . وخمر الريق ممن يحب !!

شغل الشاعر عن الراح . بما ذكر من محاسن محبوبه . ولطائف معشوقه . فأخذ يذكر ما فعل الحب بقلبه . ونال الهم من نفسه !

نأسى عليكم اذا حثت مشعشعة   فينا الشمول وغنانا مغنينا
لا أكؤس الراح تبدى من شمائلنا   سيما ارتياح ولا الاوتار تلهينا

كان بشار من اظرف الناس غزلا . وأبدعهم نسيباً . ولكن قضى الله أن يحول المهدى بينه وبين التشبيب . فيضيع بذلك الشعر الوجدانى من هذا النوع . فيما عسى أن يقول فى ذكرى لياليه الخوالى . وعهوده السوالف ! وقد ختمت زفراته المحرقة . وعبراته المغرقة . بكلمته الآتية :

يامنظرا حسنا رأيته   من وجه جارية فديته
لمعت الى تسومنى   ثوب الشباب وقد طويته
والله رب محمد   ما إن غدرت ولا نويته
أمسكت عنك وربما   عرض البلاء وما اتقيته
إن الخليفة قد أبى   وإذا أبى شيئا أبيته
ويشوقنى بيت الحبيـ   ـب إذا غدوت وأين بيته
قام الخليفة دونه   فصبرت عنه وما قليته
ونهانى الملك الهما   م عن النساء فما عصيته
بل قد وفيت ولم أضع   عهداً ولا رأيا رأيته

ثم انقضت حياة بشار الودية . وما عدت تسمع له غير أبيات فاترة .

فى الأسف على ماحيل بينه وبين هواه . فنال اليأس من قلبه . والقنوط من ضميره . وعاد من الهالكين .

ولقد نال أبا نواس إمام الشعراء فى وصف الخمر . مانال بشارا إمامهم فى وصف النساء . فقد نهاه الأمين عن شربها وحبسه ابن أبى الفضل من أجلها . ثم كلم فيه : فاخرجه على أن لا يشرب خمرا . ولا يقول فيها شعرا . فطالت حسراته . وكثرت زفراته . ثم قال :

أيهـا الرائحان باللوم لوما　　لاأذوق المدام إلا شميما
نالنى بالملام فيها إمام　　لا أرى لى خـلافه مستقيما
فاصرفاهـا الى سواى فانى　　لست الا على الحديث نديما
جل حظى منها إذاهى دارت　　أن أراها وان أشم النسيما
فكأنى وما أزين منها　　قعدى يزين التحكيما
كل عن حمله السلاح الى الحر　　ب فأوصى المطيق أن لا يقيما

وتعرف أن أبا نواس إن نهى عن الخمر ، فقد لاينتهى ، ولكنه لابد مقلع عن وصفها ، طاعة الامام ، وفى ذلك يقول

عين الخليفـة بى موكلة　　عقد الحذار بطرفها طرفى
صحت علانيتى له وأرى　　دين الضمير له على حرف
ولئن وعدتك تركها عدة　　إنى عليك لخائف خلفى

نهى أبو نواس عن الخمر ، فشربها سرا ولكنه جامل الامام بترك نعتها . والتحدث عن وصفها . فاصاب الادب ما أصابه . وغشى الشعر ماغشيه . فان أبا نواس فيما أرى أول الناس وآخرهم : فى وصف الراح والسقاة ولو لم يقف فى سبيله الامين . لأبان لنا من مذاهب القول . وطرق

البيان ما كنا فى حاجة الى بعضه . ولكن الزمان للادب ظلوم قهار

ليس وصف الخمر والندامى . والكؤوس والسقاة . ضربا من الشعر الوجدانى . فأنها أوصاف محسة . ترجع فى جملتها إلى ماترى العين . ويذوق اللسان ولكن طبع أبى نواس ومهارته . جعلا لتلك المعانى الخمرية صبغة خاصة . تشبه أن تكون من عمل القلب . وصنع الضمير

قل شعر عبيد الله لما تخوف الجمهور . ونضب شعر ابن أبى ربيعة لما نهاه أخوه وذهبت لطائف بشار فى الغزل لما منعه المهدى . وحرمنا بدائع أبى نواس فى الخمر لما زجره الأمين

فكان ذلك مما أوجب فقر الآداب العربية . وجعل حظ الشعر غاية فى الضؤول ونهاية فى الخمود

فياليت شعرى أتشمل الحرية الأدب وتنتظم الشعر . أم يعيش الشعراء أسرى الاوامر العالية . والزواجر الطاغية أبد الآبدين . ودهر الداهرين .

كلمة

عن موشحات حضرة الزميل الشيخ محمد ابراهيم الجزيرى

مقطعات حسان كفاتنات الخدود
كأنهن الغوانى يمسن فى يوم عيد
أو خاطرات الأمانى يزرن قلب عميد
ما أجحد القلب ان لم يحيها بالسجود
وأظلم الدهر ان لم يجد لها بالخلود

الامل الضائع

تأيمت حتى لامني كل صاحب رجاء سليمى أن تئيم كما إمت
لئن بعت حظى منك يوماً بغيره لبئس إذاً يوم التغابن ما بعت

كنت أصبر على بأساء الحياة ، وأحتمل ما فيها من هم وغم ، لو أن عندى بقية من الأمل أرفه بها أحزانى ، وأدفع بها آلامى ! ولكن حال القنوط دون الرجاء ، وأتى اليأس دون الطمع ، فلم يبق غير الجزع من مسعد ولا سوى النوح من شفاء ! !

فياجيرة ما كان أهنأ وردهم ، وأطيب عيشهم ، ويا أحبابا ذقت الفرح بقربهم ، وعرفت الهم لبعدهم ، ويامن أفنانى فراقهم وكان أحيانى لقاؤهم ، بربكم ما الذى لقيتم بعدى ، فقد لقيت بعدكم ذلا وهوانا ، وظلما وعدوانا ومن عسى أن يكون قد ظفر بودكم ، ونعم بحسنكم ، فأصفاكم من الحب أجمله ، ومن الأنس أكمله ، فقد صحبت بعدكم من جحد نعمتى ، وأنكر خلتى ، ومن سقيته الشهد فسقانى الصاب ، ومن أوليته القرب فأولانى القطيعة !

فياليت شعرى من ألوم ؟ أألوم نفسى على أن لم أعق فى بركم أهلى واخزانى ؛ فأسير حيث سرتم ، وأقيم حيث أقمتم

تفرق أهلى من مقيم وظاعن فياليت شعرى أى أهلى أتبع
أقام الذين لا أبالى فراقهم وشط الذين بينهم أتوقع

أم ألومكم على ان تركتمونى وحيدا وآثرتم وطنكم وأهلكم ، ولم تبالوا بمن خلفتموه طريح حزنه ، وأسير همه ؟ أم ألوم قوما جملة

منكم بدلا فكانوا شر بدل ، واتخذتهم من بعدكم ذخراً فكانوا كالهباء ورجوتهم حصنا أتقى به الدهر الخائن ، والزمن الجائر ؛ فاذا هم أذل من قراد بمنسم . وإذا المتفيىء ظلهم ، والراجى برهم ، يطمع فى غير مطمع ؛ ويلجأ الى شر وزر !

أم ألوم دهراً اضطركم الى الرحلة فرحلتم ، وحكم على بالمقام فأقمت ثم أمدنا من اليأس لبعد الدار ، وشط المزار ، ما جعل الامل فى التلاقى خائباً ، ورجاء التدانى كاذبا

وقلما أبقى على ما أرى   يوشك ان ينعانى الناعى

ما أقتل اليأس لاهل الهوى   لاسيما من بعـد إطماع

ماهذا الذى صنعتم : أخضعتم لليأس ، وأذعنتم للقنوط ، ولم ترهبوا العتاب ، اذ لم تأملوا اللقاء ، فزففتم تلك الشمس الى غيرى ، وآثرتم بها سواى .

ياعز ان ضاعت عهودى عندكم   فأنا الذى استودعت غير أمين

أوعدت مغبونا فما أنا فى الهوى   لكمو بأول عاشق مغبون

غلب اليأس عليكم فملتم — ولا وفاء لملول — فكان منكم ما أقض المضجع . وأورث الجفن السهاد . فهل تعلمون ما صنع اليأس بنا . ونال القنوط منا ؟ ولكن هيهات بعد اليوم ان ينفع العزاء !

هى الغاية القصوى فان فات نيلها   فكل منى الدنيـا على حرام

***

(تحت صورتى)

ولما صار ود الناس ختلا   وأوحش ربعهم من بعد أنس

ولم أظفر على جهدى بحر   تركت هواهمو وعشقت نفسى

في يوم العيد

ان الذى رد يوسف الى يعقوب بعد أن ابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم . والذى بشر زكريا بيحيي بعد أن بلغ من الكبر عتيا والذى من على ابراهيم بولديه اسحاق ويعقوب بعد أن شاخ ويئست زوجه ليقدر على إمتاع أرواحنا برجع أيامنا . وإيناس قلوبنا بعودة أحبابنا

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كل الظن ألا تلاقيا

هذه الشمس تشرق بعد غروبها . وهذا القمر يطلع بعد أفوله . وهذه الاشجار تخلع ثيابها فى أواخر الخريف . وتلبس فى أوائل الربيع ثيابا أروع وأنضر . وهذه السيوف يغشاها الصدأ فيكسوها زرقة وسوادا . ثم يعتادها صقالها فيعود لها بريقها ولمعانها . وهذه الغدران . تجف حينا . ويطغيها الحيا حينا . وها نحن أولاء نتشوف الى عهودنا السوالف . وأيامنا الخوالى .

أما يرحمنا الله فيجمع شملنا ، ويرجع أنسنا ، فنصبح فى سلام آمنين ؟

أوليس الذى من علينا بتلك العيشة الراضية ، وهذه النعمة الضافية ، بقادر على أن يعيدها ضاحكة بسامة . واضحة حسانة ؟ بلى وهو الرؤوف الرحيم

لقد كنت أخلدت الى اليأس لولا أنى رأيت فضل الله أوسع من أن لا ينالنى منه غير تلك الأيام القلائل ، ورأيت الله أعدل من أن يحكم على بالشقاء الطويل فى الهجر المديد ، وعرفته سبحانه أكرم من أن يخيب السائل . ويغفل دعاء المضطر ! !

فيارب ! يارب !

ان بين الحشا لهيب اشتياق ليس يطفى جواه الا التلاقى
فان لم تدركني بقربهم .. !
فيارب ان أهلك ولم تروهامتى بليلى امت لاقبر أعطش من قبرى

انى ما جحدت نعمتك يوم رزقتنى بهم ، ولا جهلت حكمتك يوم أقصيتهم عنى . وها أنذا أنتظر فضلك وطولك فى ردهم الى وعطفهم على فلولا الثقة برحمتك .والايمان باحسانك لذهبت النفس عليهم حسرات . وقطع القلب فى آثارهم قطعا ! !

ولولا رجاء القلب أن يذهب النوى لما حملته بينهن الاضالع
وانت أيها العيد ! أين مثيلك منذ خمس سنين ؟ !
اغيرى حسنك وجمالك ! ولى فيك البكا والنحيب ! !

الشباب والمشيب

تمنى أناس أن يدوم شبابهم وانى لاهوى أن يعجل لى شيبى
أخاف على نفسى العثار لاننى رأيت الشباب الغض رينا على القلب
وما أنا راض أن تكون شبيبتى طريدة قلبى ان بكيت على ذنبى
أهم بتأنيب الشباب وذمه ليرحل محمودا فيمنعنى صحبى
دعونى أهن خلا الى الغى ساقنى فشرد مى نومى . وضاعف من كربى
بحسبى أنى لا أزال مروعاً أبيت على هم . وأغدو على عتب
ولم تك نفسى كالنفوس يشوقها سفاه الصبا بين المدامة والشرب
ولكنها نفس تحن الى العلا حنين الحوامى الهيم للخصر العذب

أفي الانجليز مسلمون؟

الى الاستاذ زكى مبارك

«جاء فى العدد ٦٠ من صحيفة الافكار الغراء : أن المستر بكتال أحد أحرار الانجليز المسلمين . . الخ فهل فى الانجليز مسلمون : أو ما معنى ذلك ؟

محمد قاسم

بشارع رأس التين بالاسكندريه

***

ان كنت تريد مسلما ينصر الحق ، وينجد الصدق ، فيعق أهله فى بر الفضيلة ويمقت قومه ان صفقوا للرذيلة ، فذلك مالا تجود به الديار الاوربية ولا تسمح به الأصول السكسونية ، فغض الطرف عما هناك ، وخذ من جذع ما أعطاك

وان كنت تريد مسلما ينصر الدين بقوله ، لا بفعله ، ويحارب الظلم بلسانه ، لا بسنانه ، فانك واجد آلافاً من الانجليز ، ومئات من الفرنسيس (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤون الله يستهزئ بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون)

***

فى الغرب ملحدون ، وفى الغرب مؤمنون ولكنهم لا يكفرون الا لتكفروا ، ولا يؤمنون الا لتغفلوا ، فحذار من كفرهم فانه رذيلة ، وحذار من ايمانهم فانه حيلة

(أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين)

ليالى سنتريس

ليالى النيل واللذات ذاهبة وجدى عليكن أشجانى فأضنانى
لو يرجع الدهر لى منكن واحدة فى سنتريس ويدنى بعض خلانى
اذاً تبين دهرى كيف يرحمنى من ظلم همى ومن عدوان أحزانى
كم ليلة لى بذاك النهر سالفة قضيتها بين غادات وولدان

***

وذى دلال هو الدنيا وزينتها يردى الاسود بطرف منه نعسان
كأنما فعل عينيه بعاشقه فعل المدامة فى أعطاف نشوان
شربت من ريقه راحا مشعشعة بخالص الود لم تمزج بسلوان
وكم حبيب براح الريق أسكرنى وكم جميل بورد الخد حيانى

***

يا موقد النار فى صدرى مؤججة وقاطنا بين أنهار وريحان
عرج على فما نفسى بصابرة على نواك وماطرفى بوسنان

***

مع الصورة

سكنت الى النوى ونسيت صبا نحيلا كاد يقتله الحنين
فلما لم يجد فى الحب صبرا ولم ترحم جوانحه الشجون
تفانى فى النحول فلو تبدى لما فطنت لخطرته العيون
وهاهو كالخيال أتاك يسرى مخافة ان تظن به الظنون
فأكرم نزله وارحم ضناه فان فؤادك الحرم الأمين

فى السياسة المصرية

لم نكن من الذين أدهشتهم الحوادث الأخيرة: لأننا لم نعتزم الجهاد الا ونحن موقنون بأنه شاق طويل ، ولطالما نهينا أولئك الذين كانوا يسرفون فى الابراق الى الامة بالبشرى تلو البشرى كلما لاحت لهم ابتسامة من اللورد ملنر او اللورد كرزون ظنا منهم أنها ابتسامات أبوية او أخويه لاتصدر إلا عن رغبة خالصة وقلب سليم !! وما دروا أن للسياسة طرائق كطرائق الثعابين مشعبة معبدة يحسبها الناظر أخاديد الماء الجارى وهى مملوءة بالسم الزعاف ! حقا اننا لم نفزع من هذه الشدائد ولم تزدنا الا يقينا بما وطنا عليه النفس منذ البداية ، من أن المطلب العظيم يتطلب الجهد العظيم ؛ ولو أننا استغربنا هذه الالام الجديدة لكان مثلنا مثل الجندى الذى يدخل الميدان وهو باسم حتى اذا رأى بريق السيوف وسمع دوى المدافع ، انقلب على عقبيه وهو يقول : لقد كنت أحسب الحرب لعبة جميلة ، وكنت أظن النصر نتيجة لخطوة أو خطوتين فى الميدان ! ! كان هذا مثالنا لو أننا حسبنا العمل للاستقلال لايزيد عن عرض القضية هنا أو السمو بها الى المفاوضة فى وزارة الخارجية البريطانية حتى اذا عبس الخصم بعد أن ابتسم ، وخشن بعد أن لان ، ضاقت علينا الارض بما رحبت . وظننا ان باب الجهاد أغلق : ثم نكصنا على الاعقاب !!

أجل لقد كان من البلية ان يكتب فى السياسة من يحاج خصومه بقوله . بيننا و بينكم شهر اكتوبر ! فياعجبا أكان الاستقلال قطعة من القماش ، وصى بها ذلك الكاتب تاجرا من تجار لندن فهى آتية فى أول

سفينة تقلع من هناك

والآن بعد أن تبين الرشد من الغى لانجد بدا من النصح لقصار النظر، وضعاف العزائم ، بأن يخلوا الطريق للسابقين الاولين من أساطين الوطنية وأبطال الجهاد. فان الأمة لاتحتمل أكثر مما احتملت من (العمليات الجراحية) التى تولاها المبتدئون فى علم التشريح !

ان الوطن فى مجموعه كالجسم ، فكما لا يستطيع امرؤ أن يصبر على من يحاول قطع رأسه أو بتر رجله ؛ فكذلك لاتستطيع الوطنية المصرية أن تستسلم لمن يحاول التفريط فى السودان أو قناة السويس. فليت شعرى أى غاشية تلك التى قضت بأن ينسى السودان فى المفاوضة الاولى والمفاوضة الثانية ؟ وأى بلاء ذلك الذى طم حتى ساغ أن تصبح الارض المصرية وكأنها ضيعة لبعض الناس يتصرف فيها متى شاء وكيف شاء !!

ألا فليعلم كل مشتغل بالقضية المصرية أنه لايكتب لنفسه ولا لنظرائه بل هناك شبان وأحداث ينطبع فى نفوسهم مايقرءون ، فما أفظع الجرم الذى يجترمه الكتاب المولعون بنشر الدعوة الى الرضى بالواقع ، والقناعة بما يتناثر من موائد الاحتلال ! انهم يفسدون فى كل يوم آلافا من النفوس التى كانت تصبح نفوس أبطال لو سلمت من وساوس الداعين للخذلان ويدخلون اليأس فى قلوب كانت لولاهم حافلة بالأمانى والآمال، وعذر هؤلاء فى أنفسهم أنهم يريدون أن يعيشوا وأن يظهروا ..!! فيالالفضيحة، ألاجل ان تظهر جماعة بمظهر القوة والجاه مثلا تبدد الملايين من سكان وادى النيل بفضل التغرير والتضليل ؟!

لقد جربنا هذه الأمة فوجدناها أسلس الأمم قيادا اذا وثقت

بالقواد ولم ننس تلك الأيام التى هدا الله فيها بعض النفوس فانحازت الى الداعين الى مقاطعة ملنر من القائلين بدولية القضية المصرية وكانت نتيجة تلك الدعوة أن خفت صوت الرضائيين ومن تسميهم السياسة اليوم بالمعتدلين . وظهرت الوطنية جليلة مهيبة وقفت بجانبها الجرائد الأنجليزية المحلية تطيل الأنين والعويل ثم قدم ملنر وهو مستخف بالليل لم يبشر بقدومه البرق ولم يعلن لمجيئه استقبال وتجنب السائحون الأنجليز زيارة الأحياء الوطنيـة لئلا يظن أنهـم من حاشية اللورد ملنر فترتفع اليهم الأبصار الشواخص ثم مكث اللورد بيننا أياما ظن فيها أن مصر بمائها وهوائها وسمائها وأرضها ليست الا مصرعا للظلم والاستبداد وقدفزع الى النيل يغدو فيه ويروح ليذهب عن نفسه اليأس والقنوط فلم يكن النيل أرأف به ولا أرحم فانقلب الى أهله وهو حزين :

تلك أيام خلت سنعيدها جذعة اذا استطعنا أن نقى شجرة الوطنية تلك الهمزات القديمة التى نخشى ان تكررت اليوم أن تحلحل الجذع فاذا هو طريح : ونحن الذين كنا شجى فى حلق الاستعمار حتى لم يزدرد ماء النيل وهو سائغ الشراب . سنظل على ما عهد فينا من وطنية تضرب بها الامثال حتى نلف فى أكفاننا أطهارا أبرياء . لم يسمع منا الغاصب كلمة لينة ، ولم يظفر منا بالتنازل عن شىء من الحق كثير أو قليل : واذا وجد من الناس من يظن أن المجد كل المجد فى أن يوقع على وثيقة يجرى ذكرها فى الاندية السياسية هنا أو هناك . فيحسب من رجال التاريخ وهو لو يعلم عبد ذليل . فاننا نؤمن من أعماق القلوب بأننا ما خلقنا الا لنشق فى سبيل السعادة القوميـة . ونزيد ايمانا بوجودنا الصحيح كلما أحدقت بنا

الرزايا فى هذا السبيل وستظل قلوبنا كالزهر يبتسم كلما بكت من فوقه السماء . ولن يكون اغتباطنا بالبلايا قاصرا على البلايا التى يصبها علينا المستعمرون . بل ستظل قلوبنا مفتوحة لمثل ماتحملناه أيام المعارضة فى مشروع ملنر من التهم المختلفة التى رمانا بها فريق من الذين انخدعوا بالوعود الكواذب . وسنقول وقتئذ ماقاله خاتم الأنبياء « اللهم اهد قومى فانهم لايعلمون »

أين صفو الشباب

خليلى كفا من ملامكما عنى ... فانى أرى الاخطار قد بلغت منى
تريدان منى صبوة عامرية ... ونشوة وضاح الاسارير مستغن
لقد كان هذا والشباب مشفع ... لدى البيض والايام غافلة عنى
ألارب ليل بت فيه منعما ... باينة الاطراف ساجية الجفن
تدار على الراح من لحظاتها ... فسكر بلا خمر وخمر بلا دن
لعمرى لقد أقصرت عن عبث الصبا ... وودعت أيامى بمنعطف الحزن
وما كان بعدى يعلم الله عن قلى ... ولكنها الايام تقصى ولا تدنى
بكيت على صفو الشباب لاننى ... قضيت شبابى فى مكافحة الحزن
ومالأت أهل العصر حتى بلوتهم ... فلم ألق من حر ولم أرض عن خدن

«*»

داو همك بالبر

شكا ما به والهم يرسل دمعه ... أفانين شتى من عقيق ومن در
فقلت له أسعف فقيراً وداوه ... عسى يكشف الرحمن ما بك من ضر

في موقف التوديع

لم أجد فيما أعرف من فلسفة اللغة أصدق من كلمة (وداع) فانها مفترقة الحروف اذكانت تؤذن بالفراق

ومهجتى ساعة توديعه تفرقت مثل حروف الوداع
فان أردتم جمع تفريقها فذاك موقوف على الاجتماع

الوداع ! ماهذا الذى أجد عند كتابة هذه الكلمة ؟ ومالى أغص بريقي حين أراها مسطورة فى كتاب ؟ أتراها قبست من قلوب المودعين فهي جمرة تلتهب ونار تشتعل ؟ أم تراها أخذت من زفراتهم المتقطعة فهي تقطع القلوب ، وتفتت الأكباد ؟ ومالى أراها محزنة مبكية ؟ أتراها عين ماسمى بها ، ونفس ماوضعت له ؟ أم هي مقلوبة عن (أوعد) ففيها الارهاب والتخويف ؟

أما والله انه ليخيل الى أن واوها أخذت من الوجد . ودالها من الوعد وألفها من الدار . وعينها من الدمع : فكان أولها لهيبا ، وآخرها نحيبا . ثم كان افتراق حروفها نذير الفراق . فأخلف الوعد وبعدت الدار !!

وكنا جميعا قبل أن تظهر النوى بأنعم حالى غبطة وسرور
فما برح الواشون حتى بدت لنا بطون الهوى مقلوبة لظهور

الوداع ؟ ! ياعجبا ! وهل أبقت منى مواقفه المشجيات ، ومشاهده المبكيات ، ما أقدر به على استحضارها وتصويرها ؟ اللهم الا ما أعرف من نومى المطرود ، وهمى الممدود ، وذلى الموجود ، وعزمى المفقود ، ودمعى المسكوب ، وقلبى المحروب . وصبرى المغلوب . ثم ما أغص به

من شماتة العذال . وما أشجى له من رحمة الأحباب

فلرحمة المتوجعين حزازة   في النفس مثل شماتة الأعداء

وما أعانى من حسرة فى صباحى . ولوعة فى مسائى ، حتى عدت أضنى من جفن الحبيب ، وأقل من نوم الرقيب !!

فيا فوز لو أبصرتنى ما عرفتنى   لطول نحولى بعدكم وشحوبى

الوداع ! لعلى مارأيت نعمة فى نقمة . ومنحة فى محنة . أو بؤسا فى نعيم . وروحا فى جحيم . الا فى موقف التوديع . ومشهد التشييع !! فلو رأيتنى حينذاك لرأيت يسراى على قلبى مخافة أن ينشق الصدر عنه فاذا أنا صريع . وعيناى تتعرف معالم الترف ومعاهد النعيم . من حبيبى الراحل وأنيسى الظاعن !! فاذا رأيت ثم رأيت وحشة وأنسا . ونعمة وبؤسا . ورأيت عينا لم تشغلها الدموع عن النظر . ولا أغناها النظر عن الدموع : فهى ناعمة بائسة . وآملة يائسة . وضاحكة باكية . وطائعة عاصية !!

حجبوها حتى بدت لفراق   كان داء لعاشق ودواء

أضحك البين يوم ذاك وأبكى   كل ذى صبوة وسر وساء

فجعلنا الوداع فيه سلاما   وجعلنا الفراق فيه لقاء

الوداع : انه كالعشق : يجعل الجبان شجاعا . والبخيل سخيا . فقد كنت أجبن عن لقاء من أهوى . فجرؤت يوم البين على سلامه . وحديثه وضمه وعناقه . وكان بخيلا بملاطفتى ومجاملتى . فسخا يوم ذاك . وحيانى وفدانى !!

لم أنس إذ ودعته والتقى   ذا البدن الناعم والناحل

كأنما جسمى على جسمه   غصنان . ذا غض . وذا ذابل

يارب ما أطيب ضمى له الى ! لولا أنه راحل

لقد كنت فى شك من حبه اياى . ورفقه بى . وعطفه على . فكنت أغالب الدمع . وأصانع الحزن . أما اليوم . فقد عرفت مكانتى عنده . ومنزلتى لديه . فلينزل الدمع غير مدافع . وليغلب الحزن غير منازع

ووالله ما أدرى أيغلبنى الهوى اذا جد جد البين أم انا غالبه

فان استطع اغلب . وان يغلب الهوى فمثل الذى لاقيت يغلب صاحبه

بعض الناس

أديب ملك الآداب حتى لتنسى حين تذكره الوليدا

تخال نثيره درا نثيرا وتحسب نظمه درا نضيدا

كأن حديثه نسمات صبح حملن الى أخى كلف بريدا

معاذ الحب أن ينساك قلب يراك على الزمان أبا ودودا

وقد قل الوفاء وغاض حتى لتحسب كل انسان كنودا

ليهن المرء ترشده فيعلو زهيرا فى الاجادة او لبيدا

ليهن المرء تصحبه فيمشى على صلف كان صحب الرشيدا

لئن كانت بنات الدهر سودا وكان الدهر جبارا عنيدا

فقد ظفر الأنام بمصمئل غدت غير الزمان له عبيدا

يشق غلائل الظلماء حسنا ويهتك جنة البأساء جودا

الفزع الى الحكمة

أيتها الحكمة . أنت وحدك القادرة على هدايتنا فى مجاهل الحياة . أنت التى تحيين الفضيلة ، وتميتين الرذيلة . وما عسى أن نكون اذا ضللنا اليك السبيل ؟

أنت التى أنشأت المدائن . حين ألهمت الناس فى افتراقهم حب الاجتماع ! أنت التى قربت بين منازلهم فعودتهم الاتحادات المقدسة وأبدعت لهم اللغات والخطوط أنت التى أمليت القوانين . وكونت الاخلاق وهذبت الشعوب

انى لأبحث عن مأوى بالقرب منك أيتها الحكمة وانى لأستمد منك المعونة . الى هنا أنا مسرور باتباع وصاياك فى بعض أعمالى . والآن ألقى بنفسى بين أحضانك . وان يوما واحدا أمضيه فى الخير وفقاً لما تأمرين لخير وأبقى من الخلود الجانى !

الى أية قوة نلجأ غير قوتك العاصمة . أنت التى تهبيننا طمأنينة الحياة . وترفعين عنا فزع الموت

(معربة) شيشرون

* * *

العام الفائت

١٩١٩

يقولون عام روعتنا خطوبه وسالت به منا الدماء الدوافق
فقلت لهم لاتتبعوه ملامة فقد بعثت فيه الامانى الصوادق